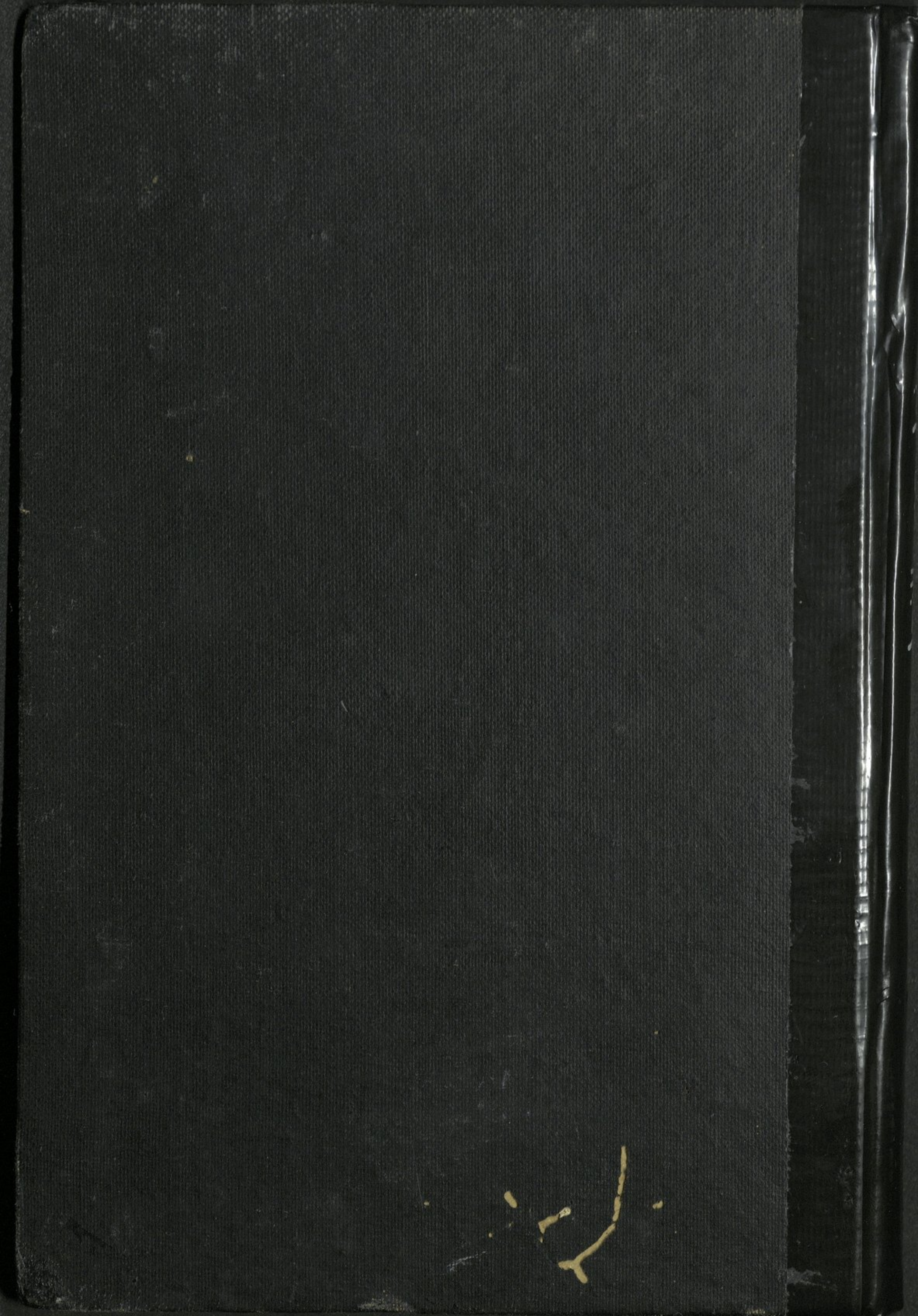
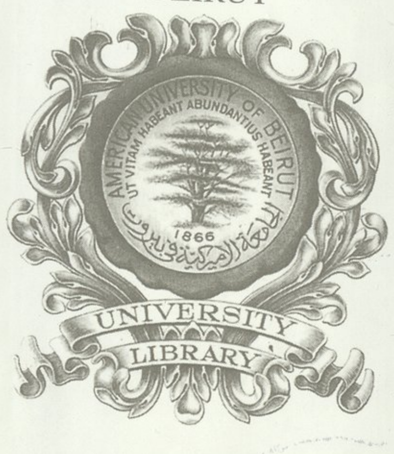
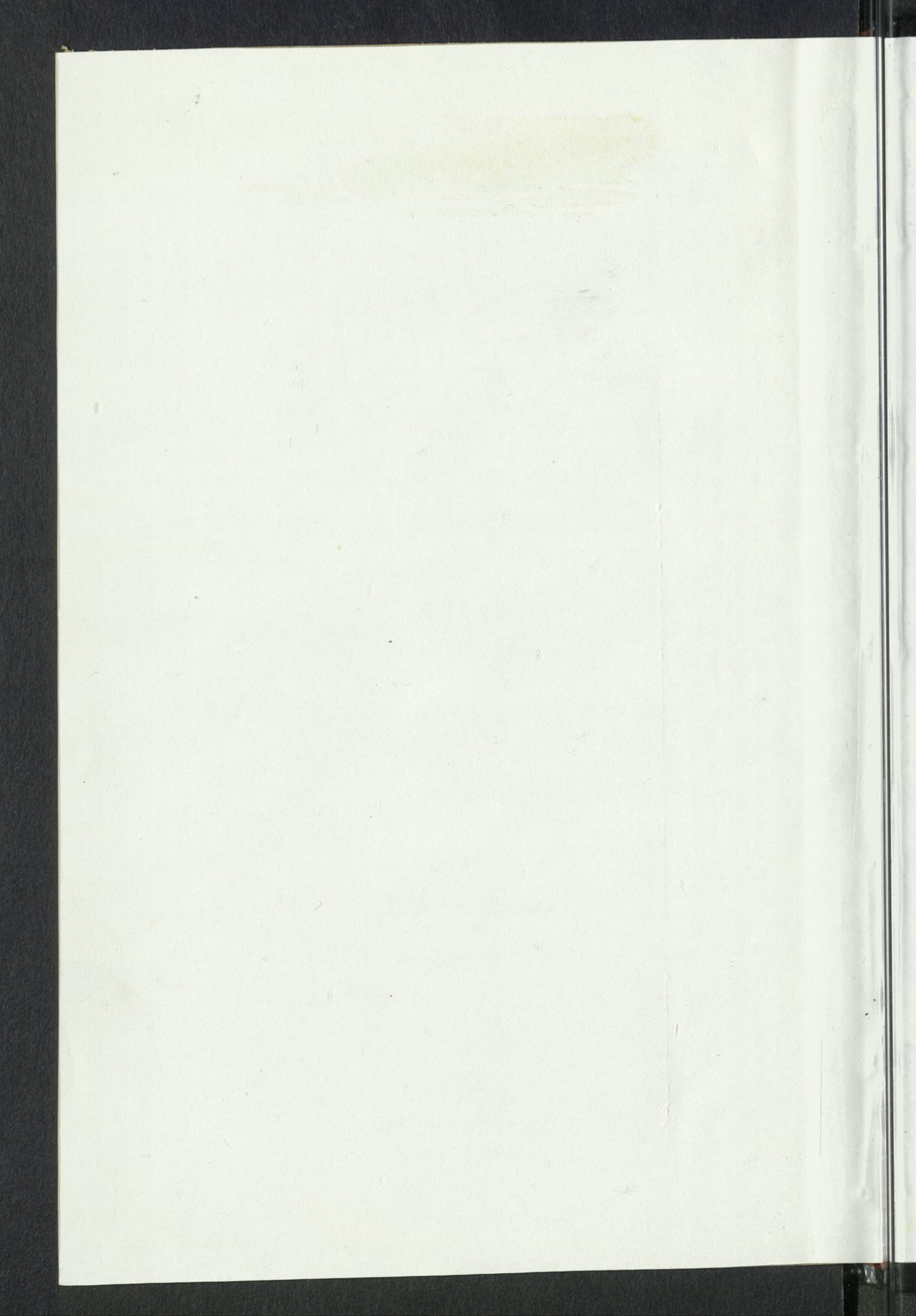



AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
UNIVERSITY
LIBRARY



مكتبة المقريزى الصغيرة : ١

نحل عبر النحل

لتقى الدين أحمد بن على المقريزى

نشر وتحقيق

جمال الدين الشيال
مدرس التاريخ الإسلامى بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول

الناشر
مكتبة الخانجى
بشارع عبد العزيز بالقاهرة

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٣٦٥هـ — ١٩٤٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

١

تقى الدين أحمد بن على المقريزى مؤرخ من كبار مؤرخى مصر الإسلامية ، بل هو زعيمهم دون منازع ؛ كان فقيهاً ومحدثاً ، وتولى منصب الحسبة فى القاهرة غير مرة ، ثم فرغ لعلم التاريخ ، واستقر فى بيته يؤلف فيه ، فأنتج إنتاجا خصباً .

وقد جرى التقليد أن يؤرخ الناشر — فى مقدمته — لصاحب الكتاب ، غير أننى سأخرج هنا عن هـذا التقليد مؤقتاً ، وذلك لأننى اعتزمت القيام بنشر وتحقيق كتب المقريزى الصغيرة — الواحد بعد الآخر — فى مجموعة موحدة أسميتها : "مكتبة المقريزى الصغيرة" ، وهذا هو الكتاب الأول من هذه المجموعة .

وقد لاحظت أن ترجمة المقريزى — فى كتب التراجم المختلفة — قصيرة ناقصة ، وفى يقينى أن الترجمة الصحيحة الوافية لأى مؤلف لا يمكن أن تكتب إلا بعد نشر كل مؤلفاته ، لأن هذه المؤلفات تحتوى بين دفاتها صوراً كثيرة من حياة المؤلف وثقافته وتجاريبه ... إلخ ... إلخ ؛ لهذا رأيت أن أرجئ الترجمة للمقريزى إلى مقدمة آخر كتاب أنشره فى هذه المجموعة .

٢

وكتب المقريزى نوعان : كتب موسوعية كبيرة ، كثيرة الأجزاء ،

وكتب أو كتيبات صغيرة . أما كتبه الكبيرة فمنها ما عُنى فيه بالتاريخ الإسلامى بوجه عام : ككتاب إمتاع الأسماع ، أو كتاب الخبر عن البشر ؛ وأكثرها ما عنى فيه بتاريخ مصر الإسلامية : ككتاب عقد جواهر الأسفاط فى تاريخ مدينة الفسطاط ، وكتاب السلوك لمعرفة دول الملوك .. إلخ ومنها أيضاً ما عنى فيه بالتراجم خاصة : ككتاب المقفى الكبير ، أو كتاب درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة .

ولهذه الكتب أهمية خاصة ، لأن المقريزى نقل فيها عن كتب كثيرة أخرى فُقدت ولم تصل إلينا نسخ منها ، أوعن كتب أخرى مازالت مخطوطة ، وهو إلى هذا كله مؤرخ ثقة يمتاز بالدقة فيما يروى ، والعناية بما يكتب .

أما كتب المقريزى الصغيرة فهى — فى رأيى — ذات أهمية خاصة ، ويمكننا أن نصنفها إلى ثلاثة أصناف :

ا — صنف عُنى فيه المقريزى بمناقشة بعض نواحى التاريخ الإسلامى الخاصة : ككتاب النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم ، وكتاب ذكر ما ورد فى بنيان الكعبة المعظمة ، وكتاب الضوء السارى فى معرفة أخبار تميم الدارى ... إلخ .

ب — وصنف عُنى فيه المقريزى بذكر عرض موجز لتاريخ بعض أطراف العالم الإسلامى : ككتاب الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام ، وكتاب الطرفة الغريبة من أخبار حضرموت العجيبة ، (وقد ألف هذين الكتابين فى أثناء مجاورته فى مكة) ، وكتاب تراجم ملوك الغرب ... إلخ .

ج — وصنف عُنى فيه المقريزى بالتأريخ لبعض النواحى الاجتماعية والاقتصادية فى العالم الإسلامى عامة، أو فى مصر الإسلامية خاصة: ككتاب المقاصد السنية لمعرفة الأجسام المعدنية، وكتاب إزالة التعب والعناء فى معرفة حِلّ الغناء، وكتاب شذور العقود فى ذكر النقود، وكتاب المكاييل والموازين الشرعية، وكتاب إغاثة الأمة بكشف الغمة[1] (وقد أرّخ فيه للمجاعات التى أصابت مصر منذ أقدم العصور إلى أيامه)، وكتاب البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب ... إلخ ... إلخ.

وكتب هذا الصنف الثالث أهمُّ كتب المقريزى جميعاً وأكثرها قيمة، وأطرفها موضوعا، لأنه عالج فيها موضوعات، قلما عالجها غيره من المؤرخين الإسلاميين، وبَعُد فيها قليلا عن تاريخ الخلفاء والملوك والسلاطين والأمراء، وعُنى فيها قليلا بالشعب ومشاكله الاجتماعية والاقتصادية. ونحن نلاحظ أن المقريزى فى هذا الصنف من الكتب لم يكن مؤرخا راوية فحسب، بل هو مؤرخ إنشائى أيضاً، جرؤ فناقش — أحياناً — الحوادث، وأدلى بآرائه الخاصة، وحلّل الأسباب، وذكر العلاج.

ومعلوماته فى هذه الكتيبات وثيقة أكيدة، لأنه ولّى منصب الحسبة غير مرة — كما ذكرنا — ولم يكن للمحتسب — كما نعلم — من عمل غير الإشراف على شؤون الشعب الاجتماعية والاقتصادية.

---

(١) نشره الناشر بالاشتراك مع الدكتور محمد مصطفى زيادة، وطبعته للمرة الأولى لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة سنة ١٩٤٠.

٣

من هذا الصنف الأخير كتيب صغير لا يعرف عنه الكثيرون شيئاً ، وعنوانه : " نَحْل عِبَر النَحل " ، وهو كتاب صغير لطيف طريف يعجب الكثيرين من القراء ، ففيه فصول مختلفة ، بعضها يتصل بعلم الحيوان ، وبعضها يتصل بعلم اللغة ، أو الفقه ، أو الحديث ، أو الطب ، أو النبات ، أو الاقتصاد ، أو التاريخ ، أو الأدب .

عثرت على نسخة منه فريدة فى مكتبة معهد دمياط الدينى (رقم ٨٣ — ٦٥ علوم متنوعة) ، كتبت فى العاشر من شوال سنة ١٢٢٩ — ١٨١٤ — (أى فى عصر محمد على) . عدد صفحاتها ٦٠ ، ومقاس كل صفحة ١٤ × ١٩ سم ، وعدد سطور كل منها ٢١ سطراً .

كتب فى الصفحة الأولى منها " هذا كتاب نُحل عبر النحل ، تأليف الإمام العالم العلامة ، المحدث المؤرخ تقى الدين أبى العباس أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم المقريزى الشافعى ، رحمه الله ، ونفعنا بعلومه فى الدارين آمين " .

كانت الكلمة الأولى من عنوان هذا الكتاب — عندما اطلعت عليه فى مكتبة معهد دمياط فى شتاء سنة ١٩٤٣ — مرسومة بغير نقط هكذا " نحل " ، ثم أرسلتُ فى أوائل سنة ١٩٤٥ استنسخ صورة منه لنفسى ، فوصلتنى وقد تغير رسم هذه الكلمة فصارت هكذا " نِحَل " ، ولما طلبت النسخة الأصلية لمراجعة نسختى عليها ، وجدت هذه الكلمة قد أخذت

نفس هذا الرسم الأخير ، فأيقنت أن هذا من عمل الناسخ الفاضل — غفر الله له — ؛ غير أنني تناسيت هذا التصحيح — أوالتشويه بمعنى أصح — ، ورجعت إلى الكتب التي ترجمت للمقريزى لتحقيق عنوان الكتاب ، وبدأت بالضوء اللامع للسخاوى ، فلم أجد به — للأسف — ذكراً لهذا الكتاب بين مؤلفات المقريزى ؛ وقد ذكره أبو المحاسن جمال الدين بن تغرى بردى فى كتابه : "المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى" تحت هذا العنوان : "كتاب نحل عبر النحل"[1] — هكذا بدون شكل — .

ثم رجعت أيضا إلى فهارس المخطوطات العربية الموجودة فى المكتبة الأهلية بباريس ، ومكتبة ليدن ، فوجدت أن بالمكتبة الأولى مجموعة من مؤلفات المقريزى الصغيرة تضم ١٥ مؤلفا ، يحمل الثالث منها هذا العنوان . "رسالة فى ذكر النحل وما فيه من غرائب الحكمة[2] Traité sur les abeilles" وأن بالمكتبة الثانية مجموعة أخرى من نفس النوع تضم ١٨ مؤلَّفا ، يحمل الخامس منها هذا العنوان مشكولا : "كتاب نَحْل عِبَر النحل"[3] ؛ وهذا فى الواقع هو العنوان الصحيح للكتاب ، فمعنى لفظ :

---

(١) انظر : (على مبارك ، الخطط الجديدة ، ج ٩ ، ص ٧٠ ، نقلا عن المنهل الصافى) .

(٢) توجد هذه النسخة فى المكتبة الأهلية بباريس ، تحت رقم ٤٦٥٧ ، وعدد صفحات هذه المجموعة ٢٦٥ صفحة ، ومقاسها ٢١ × ١٥ سم ، وبكل صفحة ٢٥ سطراً ، وتشغل رسالة النحل منها الصفحات (٤٧ — ٧٥) انظر : De Slane. Catalogue des manuscrits arabes de la Bibliothèque Nationale. III P. 738

(٣) توجد هذه المجموعة فى ليدن تحت رقم ٢٤٠٨ ، وعدد صفحات كتاب النحل بها ٣٦ صفحة ، انظر : M. De Goeje. Catalogus Codicum Orientalium Bibiothecae Academiae Lugduno-Batavae.

« نَحْل » الأولى المنح أو الهبة أو العطية ، وقد تأكد لدىّ هذا الترجيح بعد قراءة الكتاب نفسه ، فقد ذكر المقريزى — نقلا عن الزجاج — أن النحل "سميت نحلا لأن الله تعالى نَحَل الناس العسلَ الذى يخرج منها ، إذ النِّحلة العطية"[1].

٤

ومما لا شك فيه أن نشر وتحقيق أى مخطوط يكون أقرب إلى الكمال إذا حصل الناشر على كل النسخ الموجودة منه ، وكنت أتمنى أن أوفق للحصول على نسختى باريس وليدن ، غير أن الظروف الحالية حالت بينى و بين تحقيق هذه الأمنية ، فبدأت تحقيقه معتمدا على نسخة دمياط وحدها.

وهذه النسخة مكتوبة بخط الرقعة العادى ، و بمداد أسود ، وليس بها أى فاصل بين الفَصْل والفَصْل التالى له ، أو بين نهاية الجملة و بدء التى بعدها : و إنما اعتاد الناسخ أن يكتب لفظ "فصل" ، و بعض أسماء الأعلام بالمداد الأحمر ، كما دأب على رسم شرطة حمراء فوق كل لفظ تبدأ به الجملة الجديدة أو المعنى الجديد . فآثرت عند النشر استعمال علامات الترقيم الحديثة ليتضح بها المعنى ، ولتسهل قراءة النص قراءة صحيحة ، ومع هذا فقد وقفت عند ألفاظ قليلة فلم أستطع قراءتها ، وأبقيتها كما هى بعد أن أثبت إلى جانبها لفظ (كذا) أو علامة الاستفهام (؟)[2] .

---

(١) انظر ما يلى ، ص ٤٣ ، هامش ٢ .

(٢) انظر ما يلى : ص ٢ ، ٥ ، ٨ ، ٩ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٢ ... إلخ .

ولاحظت أيضا أن بالكتاب بعض الأخطاء النحوية والإملائية فأصلحتها فى المتن ، وأشرت إلى أصلها فى الهوامش[1] .

كذلك اعتاد كاتب هذه النسخة تسهيل الهمزات فى جميع الألفاظ المهموزة ، مثل : « غرايب ، وعجايب ، وموخره ، وقايده ، وطايفة ، والروايح . . . » فلم أتقيد بطريقته ، و إنما استعملت الطريقة الحديثة فى الإملاء ، ورسمت هذه الألفاظ وغيرها مهموزة دون أن أشير إلى ذلك فى الهوامش — لكثرتها — .

٥

هذا وقد رجعت — عند تحقيق الكتاب — إلى كل الكتب العربية التى كتبت عن الحيوان ، فوجدت أنها جميعا عنيت بالحديث عن النحل ، ولكن مادة هذه الكتب تختلف كماً وكيفاً ، فمنها ما أوجز — كنهاية الأرب للنويرى ومسالك الأبصار للعمرى[2] ، وعجائب المخلوقات للقزوينى ، والحيوان للجاحظ — ؛ ومنها ما أطنب — كالشفا لابن سينا ، وحياة الحيوان للدميرى — ، وقد وجدت الشبه كبيرا بين

---

(١) انظر مثلا ما يلى : ص ١ ، هامش ١ ، ٣ ؛ ص ٦ ، هامش ٢ ؛ ص ٩ ، هامش ٢ ؛ ص ١٣ ، هامش ٤ ؛ ص ١٦ ، هامش ٢ ؛ ص ٥٢ ، هامش ٣ ؛ ص ٦٢ ، هامش ١ ؛ ص ١٠٢ ، هامش ١ ... إلخ .

(٢) تحدث العمرى عن « النحل » فى الجزء الثانى عشر من كتابه ، وتوجد نسخة مخطوطة من هذا الجزء فقط فى مكتبة البلدية باسكندرية (انظر قائمة المراجع العربية) ، وهى نسخة نادرة وقيمة لأنها تضم إلى النص صورا إيضاحية ملونه جميلة لجميع النبات الوارد فى الكتاب .

نص المقريزى ونصوص معظم هذه الكتب — وخاصة الشفا ، وحياة الحيوان — مما يدل على أن هذه الكتب جميعا تنقل عن مرجع واحد .

وفى بحثى عن هذا المرجع لاحظت أن إحدى الجمل تشير إلى النقل عن أرسطو[١] ، فأحببت أن أحقق إلى أى حد نقل المقريزى وأصحاب المراجع العربية المختلفة عن المعلم الأول ، فإنه من الثابت أن كتابه "الحيوان" قد ترجم إلى العربية فى العصر العباسى الأول ؛ قال ابن النديم : "كتاب الحيوان لأرسطو تسع عشرة مقالة ، نقله ابن البطريق ... ولنيقولاوس اختصار لهذا الكتاب ... وقد ابتدأ أبو على بن زرعة بنقله إلى العربى وتصحيحه ... »[٢] .

وإذ كانت هذه الترجمات قد فقدت ، وإذ كنت للأسف لا أعرف اللغة اليونانية فقد لجأت إلى الترجمة الانجليزية لهذا الكتاب ، وتبيّن لى بالمقارنة أن هذه الكتب العربية جميعا — وهى تنقل بعضها عن البعض الآخر — إنما تنقل عن الترجمات الأولى لكتاب « الحيوان » لأرسطو ، فاكتفيت بالإشارة — فى الهوامش — إلى أوجه الشبه بين نص المقريزى ونص أرسطو ، ونقلت أحيانا نص الترجمة الانجليزية لتتضح للقارئ أوجه المقارنة[٣] .

---

(١) انظر ما يلى ، ص ٤ هامش ٣ .

(٢) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٣٥٢ .

(٣) انظر مثلا ما يلى : ص ٤ هامش ٣ ، ٤ ؛ ص ٧ ، هامش ٣ ؛ ص ٨ ، هامش ٣ ، ٥ ؛ ص ١١ ، هامش ٣ ؛ ص ١٥ ، هامش ١ ؛ ص ١٦ ، هامش ٣ ... إلخ .

أما أسماء الأعلام والألفاظ الاصطلاحية الواردة فى متن الكتاب فإنى لم أغادر منها شيئا إلا قدمت له تعريفا أو شرحا فى الهوامش مع الإشارة إلى المراجع التى استعنت بها ليرجع إليها من أراد التأكد أو الاستزادة .

٦

وقد رأيت أخيرا — وإتماما للفائدة — أن أحصى الكتب العربية التى كتبت عن « النحل والعسل » ، فرجعت إلى « كشف الظنون » ، ووجدت به ما يلى : "كتاب النحل والعسل : لأبى حاتم سهل بن محمد السجستانى ، المتوفى سنة (٢٥٠ وقيل ٢٥٥) ؛ ولأبى عمرو إسحق بن مرار الشيبانى المتوفى سنة ... ؛ ولأبى سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعى" .

وقد أكد ابن النديم فى الفهرست وجود كتاب « النحل والعسل»[١] لأبى حاتم السجستانى ، وكتاب « النحلة »[٢] للشيبانى ، وكتاب « النحلة »[٣] للأصمعى .

غير أن « بروكلمان » لم يشر إلى وجود كتاب عن « النحل » لأى مؤلف من هؤلاء الثلاثة ، وإنما ذكر أن لأبى حاتم كتاب اسمه :

---

(١) الفهرست ، ص ٨٦ — ٨٧ .

(٢) الفهرست ، ص ١٠١ — ١٠٢ ، وانظر أيضا : « وفيات الأعيان لابن خلكان » .

(٣) الفهرست ، ص ٨٢ .

"النخل"(١) ، وللأصمعى كتاب اسمه : "النخل والكرْم"(٢) . كذلك ذكر صاحب "القاموس" فى مادة "عسل" أنه وضع عنه مؤلفا لغويا خاصا ، فقد قال : "وأفردتُ لمنافعه وأسمائه كتابا" . ولم يذكر "بروكلمان" هذا الكتاب عند إحصاء كتب "الفيرزوابادى" .

من هذا كله يتضح أنه لا يوجد حتى الآن كتاب عن "النحل والعسل" باللغة العربية غير كتاب المقريزى هذا الذى نقدمه للقراء اليوم .

٧

بقى أن أقدم إلى القارئ — فى هذه المقدمة — عرضا موجزا سريعا فيه تعريف لهذا الكتاب وموضوعه وفصوله :

بدأ المقريزى كتابه بالحديث عن النحل من الناحية الحيوانية ، فتكلم عن اليعاسيب ، ووصفها ، وعن العامل من النحل والبطّال ؛ ثم ذكر أسماء النحل فى أدوار نموه المختلفة منذ تخلّقه يرقةً إلى أن يصير نحلة ، ثم أسماءه وهو يطير جماعات : كالطرد ، والثول ، والعنقود ، والخشرم . إلخ ، ثم عرض بعد ذلك لألوانه وأحجامه ، وصفاته الخلقية والخلقية ، مستنبطاً من ذلك كله العظة والعبرة لبنى الإنسان .

وترك المقريزى هذا ليتحدث عن بيوت النحل أو خلاياه ، ما يوجد منها فى الجبال ، أو فى السهول ، أو فيما يعرش الناس ، مقارنا بين كل نوع

---

(1) Brock. I P. 107.

(2) Brock. I P. 104.

ونوع ، ثم ذاكرا الأسماء اللغوية المختلفة لهذه الخلايا ، وهى كثيرة : كالنحيتة ، والمعسلة ، والكوارة ، والمباة ، والوقبة . . . إلخ .

وفى فصل ثان تحدث عن آفات النحل : كالدَّبْر والخطاطيف ، والضفادع ، والسوس ، والجرذان ، وعن مبلغ ما تحدثه كل آفة من هذه بالنحل وعسله وخلاياه من ضرر ، ثم وصف العلاج لهذه الآفات .

وعرّج بعد هذا على العسل ، فذكر أنواعه وأوصافه المختلفة ، من حيث الطعم والرائحة ، والكثافة والرقة ، والصفاء والكدر ، وكثرة الحلاوة وقلتها . . . إلخ ، ثم تكلم بعد ذلك عن جامع العسل ، أو مشتاره ، وعن الألقاب الكثيرة التى يلقب بها هذا المشتار ، وعن الآلات التى يستعين بها فى أثناء عمله ، وخاصة فى الخلايا الجبلية .

وتحدث بعد ذلك عن النحل ، ومكانته الاقتصادية فى مصر الإسلامية مورداً من موارد المعاملات السلطانية ، والجهات الديوانية ، وذكر مقدار ما كانت النحل تغله للدولة من عسل وشمع فى كل سنة .

وعقد المؤلف مفصلا خاصاً تحدث فيه عن الأزهار والأنوار التى يرعاها ويترشفها النحل : كاللوز ، والندغ ، والسحاء ، والسدر ، والرمان ، والجلنار . . إلخ ، ثم وازن بين أصناف العسل الذى ينتجه النحل على تنوّع غذائه بكل نوع من هذه الزهور ، وأى هذه الأصناف أحسن أو أحلى ، وأيها أردأ أو أقل حلاوة ، ثم تحدث بعد هذا عن الفوائد الطبية الكثيرة لعسل النحل .

وانتقل من هذا إلى الحديث عن الشمع ، وما هو ، وكيف يتكون .

ثم أسهب فى ذكر ما ورد فى النحل والعسل من آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية ، مع العناية بأقوال الشراح والرواة المختلفين ؛ وختم هذا الفصل بذكر الحكم الفقهى فى النحل : أتؤخذ منه الزكاة أم لا تؤخذ ، أو يحل للمسلمين أكله كحلّ الجراد ، أم لا يحل .

وانتهى صاحب الكتاب إلى الفن الحبيب إلى نفسه ، وهو التاريخ ، فنقل فى كتابه الحوادث التاريخية التى تتصل بالنحل ومنتجاته — وخاصة الشمع — ، فقد كان للشمع فى مصر فى العصور الوسطى مركز اقتصادى مهم ، لأنه كان من أهم وسائل الإضاءة ، فهو يذكر كم طن من الشمع استعمل فى حفلات زواج أبناء — أو بنات — الخلفاء أو السلاطين أو الأمراء ، كيف كان حجم هذه الشموع ، وشكلها ، ولونها . . . إلخ ثم يستطرد فيصف هذه الحفلات وصفا مسهبا قويا . وهذا الفصل طريف كل الطرافة لأنه يعطينا صورا حيةً نادرة لبعض نواحى الحياة الاجتماعية فى مصر فى العصور الوسطى .

ويختم المقريزى كتابه بفصل جميل أورد فيه كثيرا من الشعر الذى قيل فى الشمع ، فهو يروى أبياتا لكثير منَ الشعراء : كالموفق يوسف بن الخلاّل — صاحب ديوان الإنشاء بمصر — ، وأبى نصر بن كُشاجم ، ومظفر بن محاسن ، وأبى الحسين عمر بن يعقوب الأنبارى — أحد عدول بغداد — ، وأمير المؤمنين المستنجد بالله — الخليفة العباسى — ، وابن دفترخوان الطوسى ، وأحمد بن يوسف التيفاشى ، وابن الخيمى الأنصارى ، وابن حمديس الصقلى . . إلخ . . إلخ .

٨

وبعد ، فهذا هو الكتاب ، وهذه هى الطريقة التى اتبعتها لنشره وتحقيقه ، أعتقد أنها لم تترك غامضا إلا أوضحته ، إلا أمراً واحدا لعله يشوق القارئ كما شاقنى ، غير أن مراجع البحث ووسائله التى بين يدىّ لم تمكننى من الوصول إلى حقيقته : ذلك هو متى ألف المقريزى كتابه هذا ؟ وما الدافع له على تأليفه ؟ تلك مشكلة أقنع الآن بإثارتها ثم أتركها عسانى أوفق فى المستقبل للإجابة عليها ، ويحق لى وأنا أثير هذه المشكلة إيفاء لنواحى الموضوع المختلفة أن أذكر أننى ألحقت بالكتاب — فى نهايته — مجموعة من الفهارس التفصيلية ، وصنفتها تصنيفا خاصا ييسر للقارئ الإلمام بموضوعات الكتاب المختلفة ، وما به من مواد منوّعة ، وثروة لغويّة نادرة .

٩

وإنى لأرى من واجبى أخيرا أن أتقدم بالشكر لكل من تفضل بتشجيعى أو معاونتى على نشر هذا الكتاب ، وخاصة أستاذىّ الجليلين : عبد الحميد العبادى بك — أستاذ التاريخ الإسلامى وعميد كلية الآداب بجامعة فاروق الأول — والدكتور محمد مصطفى زيادة — أستاذ تاريخ العصور الوسطى ووكيل كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول — ، فإنهما أسبغا علىّ — منذ علما بعزمى على إحياء مكتبة المقريزى الصغيرة — من عطفهما وتشجيعهما ما قوى من عزيمتى ، ودفعنى إلى العمل دفعا .

وأتقدم بالشكر الجزيل أيضا إلى صديقى وزميلى الكريم الأستاذ المحقق

عبد السلام هارون ، فقد تفضل وقرأ معى معظم تجارب هذا الكتاب فى مرحلة الطبع الأخيرة ، وكان لما أمدنى به من آراء الفضل فى قراءة وتوضيح بعض الغامض من النص .

ولا أنسى كذلك أن أسدى الشكر إلى أصحاب الفضيلة شيخى معهدى دمياط والاسكندرية الدينيين ، وأمينى مكتبتيهما ، فقد يسروا لى جميعاً نَسْخ الكتاب ومقارنته على الأصل .

وأشكر أخيراً حضرة نجيب أفندى الخانجى — الناشر — لعنايته بهذا الكتاب وطبعه .

جمال الدين الشيال

الاسكندرية فى { جمادى الآخرة ١٣٦٥ / مايو ١٩٤٦ }

مراجع التحقيق

(١) المراجع العربيـــة

ابن الأثير (أبو السعادات المبارك بن أبى الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى الجزرى) : النهاية فى غريب الحديث والأثر ، ٤ أجزاء ، المطبعة العثمانية بالقاهرة ، ١٣١١ .

الكامل فى التاريخ ، ١٢ جزء ، المطبعة الأزهرية بالقاهرة ، ١٣٠١ .

ابن ثغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن) : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، تقوم بطبعه دار الكتب المصرية ، ظهر منه حتى الآن ٩ أجزاء ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ١٩٢٩ — ١٩٤٥ .

ابن حجر العسقلانى (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على) : تهذيب التهذيب ، ١٢ جزء ، حيدر أباد الدكن ، ١٣٢٥ — ١٣٢٧ .

ابن حمديس الصقلى (عبد الجبار بن أبى بكر بن محمد) : ديوان شعره ، نشره «چلستينو سكياپاريللى» ، رومة ، ١٨٩٧ .

ابن خاقان (الفتح) : قلائد العقيان ، باريس ، ١٢٧٧ .

ابن خلكان (شمس الدين أحمد) : وفيات الأعيان ، جزءان ، المطبعة الميمنية بالقاهرة ، ١٣١٠ .

ابن سيده (أبو الحسن على بن اسماعيل) : المخصص ، ١٧ جزءً ، مطبعة بولاق ، ١٣١٦ — ١٣٢١ .

ابن سينا (أبو على الحسين بن عبد الله) : كتاب الشفاء ، جزءان ، طهران ، ١٣٠٣ .

ابن طباطبا (محمد بن على) : الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية . مطبعة المعارف بالقاهرة ، ١٩٢٣ .

ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينورى) :

عيون الأخبار ، ٤ أجزاء ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ١٩٢٧ — ١٩٣٠ .

أدب الكاتب — نشره محمد محى الدين عبد الحميد — المطبعة الرحمانية بالقاهرة ، ١٣٥٥ .

المعارف ، المطبعة الرحمانية بالقاهرة ، ١٩٣٥ .

الميسر والقداح ، نشره محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية بالقاهرة ، ١٣٤٢ .
ابن مماتى (الأسعد بن أبى مليح) : قوانين الدواوين ، نشره . الدكتور عزيز سوريال عطية ، مطبعة مصر ، ١٩٤٣ ؛ ومطبعة الوطن ، ١٢٩٩ .
ابن منظور الإفريقى المصرى (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى الخزرجى) لسان العرب ، ٢٠ جزء ، المطبعة الأميرية ببولاق ، ١٣٠٢ — ١٣٠٧ .
ابن النديم : الفهرست ، المطبعة الرحمانية بالقاهرة ، (طبعة المكتبة التجارية بدون تاريخ)
أبو على (الشيخ أحمد) : فهرس المكتبة البلدية باسكندرية ، ٦ أجزاء ، اسكندرية ١٩٢٧ — ١٩٢٩ .
الأرجانى (ناصح الدين أبو بكر بن أحمد بن محمد بن حسين) : ديوان شعره ، بيروت (بدون تاريخ) .
الأصفهانى (أبو الفرج) : كتاب الأغانى (طبع منه حتى الآن ١١ جزء) مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ١٩٢٧ — ١٩٤٥ .
البخارى (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه) : صحيح البخارى ، ٤ أجزاء ، المطبعة العثمانية بالقاهرة ، ١٣٥١ (١٩٣٢) .
البستانى : محيط المحيط ، جزءان ؛ بيروت ، ١٨٦٧ — ١٨٧٠ .
ثابت (نعمان) : الجندية فى الدولة العباسية ، بغداد ، ١٣٥٨ (١٩٣٩) .
الثعالبى (أبو منصور عبد الملك بن محمد) فقه اللغة ، مطبعة المدارس الملكية بالقاهرة (بدون تاريخ) .
الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) : كتاب الحيوان — نشر الأستاذ عبد السلام هارون — (طبع منه حتى الآن ستة أجزاء) ، مطبعة الحلبى بالقاهرة ، ١٩٣٧ — ١٩٤٤ .
الجواليقى (أبو منصور ، موهوب بن أحمد بن محمد الخضر) المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم ، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ١٣٦١ .
الجوهرى : الصحاح ، جزءان ، القاهرة ، ١٢٨٢ .
حاجى خليفة (مصطفى بن عبد الله ، المشهور بكاتب چلبى) ، عنى بنشره محمد شرف الدين يالتقايا ورفعت بيلگه الكليس ، وطبع بعناية وكالة المعارف التركية ، صدر منه الأصل فى جزئين ، والملحق الأول ، ١٣٦٠ — ١٣٦٤ (١٩٤١ — ١٩٤٥) .
الحسن بن عبد الله : آثار الأول فى ترتيب الدول ، بولاق ، ١٢٩٥ .
الحصرى (أبو إسحاق إبراهيم بن على القيروانى) : جمع الجواهر فى الملح والنوادر ، نشره المرحوم محمد أمين الخانجى ، المطبعة الرحمانية بالقاهرة ، ١٣٥٣ .

الحموى (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت) معجم البلدان ، ليبزج ، ١٨٧٠ .
الخوارزمى (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف) مفاتيح العلوم ، القاهرة ، ١٣٤٩ (١٩٣٠) .
دائرة المعارف الإسلامية — الترجمة العربية — مواد مختلفة .
الدميرى (كمال الدين) : حياة الحيوان الكبرى ، جزءان ، المطبعة الشرفية بالقاهرة ، ١٣٠٦ .
الربَعى (عيسى بن إبراهيم بن محمد) : نظام الغريب ، نشره الدكتور بولس برونله ، مطبعة هندية بالقاهرة ، (بدون تاريخ) .
الزبيدى (السيد محمد مرتضى) : تاج العروس من جواهر القاموس ، ١٠ أجزاء ، المطبعة الخيرية بالقاهر ، ١٣٠٦ — ١٣٠٧ .
السخاوى (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن) : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ١٢ جزءاً ، القاهرة ، ١٣٥٣ — ١٣٥٤ .
سركيس (يوسف اليان) : معجم المطبوعات العربية والمعربة ، مطبعة سركيس بالقاهرة ، ١٣٤٦ (١٩٢٨) .
السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر) :
تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين ، المطبعة المنيريه بالقاهرة ، ١٣٥١ .
حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، جزءان ، المطبعة الشرفية بالقاهرة ، ١٣٢٧ .
الشرتونى (سعيد ، الخورى) : أقرب الموارد فى فصح العربية والشوارد ، جزآن وذيل ، بيروت ، ١٨٨٩ .
الصفدى (صلاح الدين خليل بن أيبك) : الوافى بالوفيات ، قام على نشره المستشرق ﻫ . ريتر ، ظهر منه الجزء الأول ، مطبعة الدولة باستانبول ، ١٩٣١ .
عبد الباقى (محمد فؤاد) : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ١٣٦٤ .
العسكرى (أبو هلال) : المعجم فى بقية الأشياء ، نشره إبراهيم الابيارى وعبد الحفيظ شلبى ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ١٣٥٣ (١٩٣٤) .
العمرى (شهاب الدين أحمد بن يحى الكرمانى ، المعروف بابن فضل الله) : مسالك الأبصار فى الممالك والأمصار ، الجزء ١٢ ، مخطوطة نادرة قيمة مزودة بالرسوم الإيضاحية للنبات ، مكتبة البلدية باسكندرية ، رقم ٣٣٥٥ ج .
عيسى (الدكتور أحمد بك) : آلات الطب والجراحة والكحالة عند العرب ، مطبعة مصر بالقاهرة ، (بدون تاريخ) .

معجم أسماء النبات ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ، ١٣٤٩ .
فهرس الكتب للعربية الموجودة بدار الكتب المصرية ، ٧ أجزاء ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٤٨ — ١٣٥٧ (١٩٢٩ — ١٩٣٨) .
الفيروزابادى (مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازى) : القاموس المحيط ، ٤ أجزاء ، المطبعة الأميرية ببولاق ، ١٣٠١ — ١٣٠٢ .
: «فى الحيوان» مخطوط مجهول المؤلف ، مكتبة بلدية الاسكندرية رقم ٣٥٠٢ ج
القزوينى (زكريا بن محمد بن محمود) : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، مطبعة المعاهد بالقاهرة ، (بدون تاريخ) .
القلقشندى (أبو العباس أحمد) صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، ١٤ جزء ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ١٩١٣ — ١٩١٩ .
كشاجم (محمود بن الحسين بن السندى بن شاهك) ديوان شعره ، بيروت ، ١٣١٣ .
الكواشى (موفق الدين أحمد بن يوسف الموصلى الشيبانى الشافعى) :
تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر ، مخطوط بمكتبة البلدية باسكندرية ، رقم ١٣٠٠ ب .
تلخيص التبصرة ، نسختان مخطوطتان بنفس المكتبة ، رقم ١٢٤١ ب ١٧٠٤ ب .
مبارك (على باشا) : الخطط التوفيقية الجديدة ، ٢٠ جزءاً ، مطبعة بولاق ، ١٣٠٤ — ١٣٠٦ .
المرزبانى (أبو عبيد الله محمد بن عمران) : معجم الشعراء ، طبعة القدسى ، القاهرة ، ١٣٥٤ .
المقريزى (تقى الدين أحمد بن على) .
السلوك لمعرفة دول الملوك ، نشره الدكتور محمد مصطفى زيادة ، (ظهر منه الجزء الأول فى ثلاث مجلدات ، ومجلدان من الجزء الثانى) ، مطبعة التأليف والترجمة والنشر ، القاهر ، ١٩٣٤ — ١٩٤٢ .
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، مطبعة النيل ، ١٣٢٤ — ١٣٢٦ .
النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) : نهاية الأرب فى فنون الأدب (ظهر منه للآن ١٤ جزءاً) ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ١٩٢٣ — ١٩٤٣ .

(ب) المراجع الأجنبية

Aristotle = Historia Animalium, transleted into English by : D'Arcy Wentwarth Thompson. Oxford, 1910.

Brockelmann (Carl). = Geschichte der Arabichen Litteratur. Leiden — 5 v —, 1898, 1902, 1937, 1938, 1939.

De Geoje. = Catalogus codicum Orientalium Bilbliothecae Academiae Lugduno Batavae.

De Slane = Catalague des manuscrits Arabes de la Bibliothèque Nationale.

Lane — Poole (Stanely.) = The Mohammadan Dynasties. London, 1894.

Mullet (Clément). = Essai sur la mineralogie Arabe. Journal Asiatique. 1868.

Sharaf (Dr. Moh.) = An English — Arabic Dictionary of medicine, Biology, and Allied Sciences. Cairo, 1929.

المقـــريزى

كتاب

نَحْـــل عِبَر النَّحْل

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(٢) بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتى

وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله ، وصحبه ، وسلم .

قال العلّامة تقى الدين أبو[١] العباس أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد ابن إبراهيم بن محمد [بن تميم بن عبد الصمد بن أبى الحسن بن عبد الصمد ابن][٢] تميم المقريزى الشافعى :

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد ، وآله ، وصحبه أجمعين ؛ وبعد : فهذا قول وجيز فى ذكر النحل ، وما أودع فيه البارى — جلّت قدرته — من غرائب الحكمة ، وعجائب الصنع ، ليعتبر أولو[٣] الأبصار ، ويتذكر أرباب الاعتبار ، والله الموفق .

فصل

النحل حيوان [ذو][٤] هيئة ظريفة وخلقة لطيفة ، وبنية[٥] نحيفة ،

---

(١) فى الأصل « أبى » .

(٢) أضيف مابين الحاصرتين من : السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ٢ ، ص ٢١ .

(٣) فى الأصل : « أولوا » .

(٤) فى الأصل : «حيوان وهيئته ظريفة ، وخلقته لطيفة . . . الخ» والتصحيح هنا عن : « القزوينى ، عجائب المخلوقات » ، ص ٣٩٨ ؛ والعمرى ، مسالك الأبصار ، ج ١٢ ، الفصل الخاص بالنحل .

(٥) فى الأصل وفى : « العمرى ، المرجع السابق » : « ومهجة » ، واللفظ المستعمل هنا عن القزوينى ، المرجع السابق ، نفس الصفحة .

وسط [بدنه][1] مربع مكعب ، ومؤخره مخروط ، ورأسه مدوّر مبسوط ، وفى وسط بدنه أربعة أرجل ويدان[2] متناسبة المقادير كأضلاع الشكل المسدس فى الدائرة .

والنحل أنثى[3] ، واحدتها نحلة ، وتصغّر نُحَيْلة ؛ ومن أسمائها : الخَشْرَم[4] ؛ والدَّبْر[5] ، وقيل الدَّبْر للزنابير ، وهو المشهور ، فإن حمى الدبر إنما حمته الزنابير ، لا النحل (كذا) ، وقيل الخَشْرَم ذكر النحل ؛ ويقال للجماعة من النحل[6] الثَّوْل[7] ، ولا واحدة [لها] ، ويقال لها الأَوْب[8] واحد[ه] آيب ؛ وتسمى أيضاً نُوبًا[9] ، واحدها نائب ؛ ويقال

(١) فى الأصل : «وسطه» ، والزيادة عن القزوينى .

(٢) فى الأصل « أربعة أيد وأرجل » ، والعبارة المذكورة هنا عن القزوينى ، وهى أفضل .

(٣) ذكر هنا أن النحل أنثى ، وفى « القاموس » : « النحل ذباب العسل للذكر والأنثى ، واحدتها بهاء » . وقال صاحب اللسان : من ذكر النحل فلأن لفظه مذكر ، ومن أنثه فلأنه جمع « نحلة » ، ولأن الله عز وجل أنثها ، فقال : « أن اتخذى من الجبال بيوتا » .

(٤) الخشرم ، كجعفر ، جماعة النحل والزنابير ، واحدته بهاء ؛ وأمير النحل ، ومأواها ، والحجارة الرِّخْوة ، والجمع خشارمة ، وخشارم . انظر : « القاموس » و « اللسان » .

(٥) الدِّبر — بفتح الدال وكسرها — جماعة النحل والزنابير وجمعها دبور ، انظر : «القاموس» و « المخصص » .

(٦) فى الأصل : «النحال» .

(٧) فى « القاموس » الثَّوْل جماعة النحل ، لا واحد لها ؛ أو ذكر النحل ؛ وثَوِل ، واثْوَلَّ ، وتثوَّلَ النحل اجتمعت ، والتفت .

(٨) فى الأصل «الأب» ، وفى «القاموس» : الأوب النحل ، ومفرده آئب ، وجاء فى المخصص أنها سميت بذلك لإيابها إلى المباءة ، وهى لا تزال فى مسارحها ذاهبة وراجعة حتى إذا جنح الليل آبت كلها حتى لا يتخلف منها شىء .

(٩) فى القاموس «النوبُ النحل ، واحدها نائب» ، وقال صاحب المخصص =

النُّوب من النحل التى فيها سواد؛ وقال ابن[١] قتيبة : " يقال لجماعة النحل دَبْر ، وثَوْل ، وخَشْرَم ، ولا واحد لشىء من هذا " .

ومن النحل سود ، وهى أصغر من الصُفْر (٣) ؛ والصُفْر أكبر من السود ، والنحل تلد من غير لقاح الذكور ، وتتخذ بيوتها مسدسة . وهو حيوان فهيم ، فيه كيس [ونظافة ، وطهارة ،][٢] وشجاعة ، ونظر فى العواقب ، ومعرفة بفصول السنة ، [و] أوقات المطر ، وتدبير [المرتع والمطعم][٣] ، والطاعة لكبيره[٤] ، والاستكانة لأميره وقائده ، [وهو بديع الصنعة وعجيب الفطرة][٥] .

= إنها سميت بذلك لأنها ترعى ثم تنوب إلى موضعها ، وجاء فى « اللسان » أنها سميت كذلك لسوادها ، شبهت بالنوبة وهم جنس من السودان .

(١) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى عالم وأديب وحافظ وفقيه ، ولد فى الكوفة ، أو فى بغداد سنة ٢١٣ هـ ، ونشأ وتعلم بها ، وأقام بالدّينور أثناء تولّيه قضاءها وله مؤلفات كثيرة تبلغ ٤٦ كتابا معظمها فى علوم القرآن والحديث والأدب والتاريخ ، وقد اختلف فى سنة وفاته ، والمرجح أنه توفى فى أول ليلة من رجب سنة ٢٧٦ ؛ انظر ترجمته المفصلة فى : مقدمة كتابه «عيون الأخبار» ، ج ٤ ، ص ١٢ — ٣٩ ، وما كتبه عنه الأستاذ محب الدين الخطيب فى مقدمة كتابه « الميسر والقداح » ، وما ورد بهذين الكتابين من مراجع .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين من كتاب «فى الحيوان» ص ٢١٤ ، وهو مخطوط مجهول المؤلف ، محفوظ فى مكتبة البلدية باسكندرية ، برقم ٣٥٠٢ ج .

(٣) فى الأصل : «وتدبير المنزل» ، واللفظان المثبتان هنا أفضل ، وقد نقلناهما عن : « الدميرى ، حياة الحيوان » ، ج ٢ ، ص ٢٩٧ .

(٤) فى الأصل : « الكبيرة » ، والتصحيح عن « الدميرى » ، نفس الجزء والصفحة .

(٥) أضيف مابين الحاصرتين من « الدميرى » ، نفس الجزء والصفحة .

فصـــل

[قال أرسطو](١) : النحل تسعة أصناف : منها(٢) ستة يأوى بعضها إلى بعض [وذكر أسماءها باليونانية](٣) ، وهى تقسم الأعمال بينها ، فمنها ما يبنى بالشمع ، ومنها ما يأتى بالعسـل ، ويمجّه فى أبيات الشهد ، ومنها ما يأتى بالماء فيمد العسل به(٤) .

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من : « الدميرى » ، نفس الجزء والصفحة ؛ و « النويرى ، نهاية الأرب » ، ج ١٠ ، ص ٢٨٧ .

(٢) فى الأصل : «منه» ، وفى الدميرى «منها» ، وفى نهاية الأرب : «ستة منها»

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة : « الدميرى ، حياة الحيوان» ، ج ٢ ، ص ٢٩٧ ، و « النويرى ، نهاية الأرب » ، ج ١٠ ، ص ٢٨٧ ، ومخطوطة « فى الحيوان» ، ص ١١٤ . هذا وقد تبين لى بالمراجعة أن كل الكتب العربية التى كتبت عن الحيوان اعتمدت اعتمادا كبيرا على كتاب أرسطو «الحيوان» ، ومن المعروف أن هذا الكتاب ترجم إلى العربية فى أوائل العصر العباسى ، فقد ذكر ابن النديم أن « كتاب الحيوان لأرسطو تسع عشرة مقالة نقله ابن البطريق ... ولنيقولاوس اختصار لهذا الكتاب ... وقد ابتـدأ أبو على بن زرعة بنقله إلى العربى وتصحيحه . . » ، وعن هذه الترجمات الأولى نقلت الكتب الأخرى — دون شك — كالجاحظ والدميرى والمقريزى الخ .. الخ ، وإذ كانت هذه الترجمات الأولى قد فقدت ، فقد قارنت ما جاء فى هذه الرسالة عن النحل بما ورد فى الترجمة الإنجليزية لكتاب أرسطو ، فوجدت الشبه قريبا جدا بين الكتابين وقد وردت فى الترجمة الإنجليزية أسماء هذه الأصناف الستة ننقلها فيما يلى :

"There are nine varieties, of which six are gregarious — the bee, the king — bee, the drone bee, the annualwasp, and, furthermore, the anthrene (or hornet), and the tenthredo (or ground wasp), etc. Historia Animalium, P. 923[a] .

(٤) فى « الدميرى » ، ج ٢ ، ص ٢٩٨ جملة تشـبه هذه فى المعنى ، ولكنها تختلف فى اللفظ ، وهى : =

وهى فى ألوانها ثلاثة أصناف : غُبْر وهى أصغرها ، وسود وهى أوسطها ، وصُفْر وهى أعظمها(١) .

والنحل والنمل أكسب الحيوان كله ، وأدأبه على عمله ؛ والنحل الكريمة تكون صغيرة مستديرة مختلفة الألوان ؛ والنحل المستطيل غير كريم ، ولا عمول ، ولا متقن لما يعمل ؛ والنحل الصغار تخرج تلك الطوال من أبياتها ، وتطردها ؛ و إذا قويت النحل على ذلك فهو منتهى كرم النحل .

والنحل الصغير عمالة(٢) ، وهى سود الألوان كأنها محترقة .

وأما النحل الصافى فى النقى (كذا) فإنه يشبه بالنساء البطالات التى لا تعملن ؛ والنحل تخرج ما كان بطالا ، وما لا يشفق على العسل(٣) .

= « والنحل تجتمع فتقسم الأعمال ، فبعضها يعمل العسل ، وبعضها يعمل الشمع ، وبعضها يستقى الماء ، وبعضها يبنى البيوت » . انظر أيضا الحيوان للجاحظ ، ج ٥ ، ص ١١٦ وطبعة الأستاذ عبد السلام هارون ص ٤١٧ .

والترجمة الإنجليزية لحيوان أرسطو أكثر دقة عند ذكر توزيع العمل بين النحل ، فقد جاء فيها ما يلى :

"· · · they differentiate their work; some make wax, some make honey, some make bee - bread, some shape snd mould combs, some bring water to the cells and mingle it with the honey, some engage in out - of - door work. op. cit· P. 627a ."

(١) فى « الدميرى » ، نفس الجزء والصفحة ، « وأفضل ملوكها الشقر ، وأسوؤها الرقط بسواد » .

(٢) فى الأصل : « عمال »

(٣) فى « الدميرى » ، ج ٢ ، ص ٢٩٩ ، فقرة موضحة ، ولعل جملة المقريزى هنا موجز لها ، والفقرة هى : « قال حكيم من اليونان لتلامذته : « كونوا كالنحل فى الخلايا » ، قالوا : « وكيف النحل فى الخلايا ؟ » ، قال : « إنها لا تترك عندها بطالا إلا نفته ، وأبعدته ، وأقصته عن الخلية ، لأنه يضيق المكان ويفنى العسل ، ويعلم النشيط الكسل » .

والنحل التى تسرح فى الجبال أصغر من نحل السهل، وأكثر عملا، وقد جعل الله تعالى فى النحل الملك المطاع (٤)، يقال له اليعسوب[١]، يتوارث الملك عن آبائه وأجداده، لأن اليعاسيب لا تلد إلا اليعاسيب. واليعاسيب هى ملوكها، وقاداتها، وعليها تأتلف النحل، ويستقيم أمرها، وتنتقل حيث انتقل، وتقيم حيث يقيم، واليعسوب فيها كالأمير المطاع.

ومن العجب أن اليعسوب لا يخرج من الكُور[٢]، ولا يذهب

---

(١) فى الأصل: «العيسوب» وهو خطأ، واليعسوب اسم مشترك: يطلق على طائر نحو الجرادة، له أربعة أجنحة لا يقبض له جناحا أبداً، ولا يرى أبداً يمشى، إنما يرى واقفاً على رأس عود أو طائراً، ويطلق على الغرة المستطيلة فى وجه الفرس، وقيل هو الذباب الكبير؛ وقيل هو فحل النحل، أو هو «ملك النحل، وأميرها، الذى لا يتم لها رواح، ولا إياب، ولا عمل، ولا مرعى إلا به، فهى مؤتمرة بأمره، سامعة له، مطيعة، وله عليها تكليف، وأمر، ونهى، وهى منقادة لأمره، متبعة لرأيه، يدبرها كما يدبر الملك أمر رعيته، حتى إنها إذا آوت إلى بيوتها وقف على باب البيت، فلا يدع واحدة تزاحم أخرى، ولا تتقدم عليها فى العبور، بل تعبر بيوتها واحدة بعد واحدة بغير تزاحم، ولا تصادم، ولا تراكم، كما يفعل الأمير إذا انتهى بعسكره إلى معبر ضيق لا يجوزه إلا واحد بعد واحد، وأعجب من ذلك أن أميرين منها لا يجتمعان فى بيت، ولا يتأمران على جمع واحد، بل إذا اجتمع منها جندان، وأميران، قتلوا أحد الأميرين، وقطعوه، واتفقوا على الأمير الواحد، من غير معاداة فيهم، ولا أذى من بعضهم للبعض، بل يصيرون يدا واحدة ...»، ومن لفظ اليعسوب قيل للسيد يعسوب قومه، ولهذا كان يطلق على على بن أبى طالب «يعسوب قريش»، و«يعسوب المؤمنين»؛ انظر: «الدميرى»، ج ٢ ص ٣٥٩، ٣٦٠؛ و«المخصص لابن سيده»، ج ٨، ص ١٧٧ — ١٧٩.

(٢) فى الأصل: «الكوز» وهو خطأ، وفى «القاموس»: الكُور موضع الزنابير، وفيه وفى «المخصص» أن الكُوّارة هى الخلية الأهلية للنحل، أو هى شىء يتخذ للنحل من القضبان أو الطين ضيّق الرأس، أو هى عسلها فى الشمع، والجمع: كُوّارات، وكوائر.

لرعى ، لأنه إن خرج خرج معه جميع النحل ، فيضعف[1] العمل ؛ ومتى عجز الواحد منها عن الطيران حملته النحل حملا ؛ وإن هلك يعسوب الخلية ، أقامت النحل بعده متعطلة لا تبنى ولا تُعسِّل ، واكتأبت لذلك ، وجعلت تطير مع وجه الأرض فى التراب ، فيُعلم أنه قد مات اليعسوب ، فيُطلب يعسوب آخر ، فتأتى به ، فتجعله فى تلك الخلية ، فتراجع النحل عملها .

[واليعسوب أكبر جثة يكون][2] مثل جثة نحلتين ، وهو يأمرهم بالعمل ، ويرتب على كل واحد ما يليق [به][2] ، فيأمر بعضها ببناء البيت ، وبعضها بعمل العسل ، ومن لا يحسن العمل يخرجه من الكور ، ولا [يتركه][2] مع النحل فيُبطلهم ، وينصب بوابا على باب البيت ليمنع دخول ما وقع من النحل على شىء من القاذورات .

واليعسوب إذا همّ بالخروج طنَّ قبله بيوم أو يومين ليعلم الفراخ ما همّ به فتستعد له .

وأجناس النحل كثيرة ، فأما اليعاسيب فهى جنسان : أحدهما أحمر اللون ، والآخر أسود مختلف اللون ؛ ومنها ما تكون جثته مثل جثة أربع (٥) نحلات[3] ؛ وله حُمَة ؛ وهو أسود النصف المقدم ، أحمر النصف

---

(١) فى « القزوينى ، عجائب المخلوقات » ، ص ٣٩٨ : « فيقف » .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل ، وقد أضفناه بعد مراجعة : « العمرى ، مسالك الأبصار » ، ج ١٢ ، و « القزوينى ، عجائب المخلوقات » ، ص ٣٩٨ .

(٣) ذكر هذان النوعان فى الترجمة الإنجليزية لحيوان أرسطو مع اختلاف يسير ، فقد ورد هناك أن النوع الأسود جثته مثل جثة نحلتين لا أربع ، وهذا نص كلام أرسطو :
"There are several species of bees, as has been said; two of kings, the better kind red, the other black and variegated, and twice as big as the working - bee." Hist. Animalium, P. 624b : انظر

المؤخر ، وإنما يكون فى كل خلية يعسوب واحد ، وربما كانت عدة إذا كانت الخليــة كبيرة ؛ فإذا كان أكثر من واحد صار مع كل يعسوب طائفة من النحل ؛ وإذا خرج اليعسوب من الخلية تبعته النحل كلها .

وإذا كان اليعســوب عظيما [سُمِّى][١] جَحْلاً — بتقديم الجيم على الحاء — ؛ وملوك النحل لا تلدغ[٢] ، ولا تغضب لأن اليعسوب حليم[٣] جدا ، وإن فى هذا القدر لعبرة ، لأن هذا لو كان فى واحد من عقلاء الإنس — الذين فُضلوا على جميع الحيوان — لـكان ذلك عجباً ، ولذلك قال الله تعالى بعد ما قصّ علينا ما ألهمه هذا الحيوان على ضعفه : " إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ " — أى يعتبرون بما قد ألهمه النحل من لطف الصَّنعة ، ودقة الحيلة ، مع ضعف البنيــة — ؛ ولذلك زعم بعض العلماء المتقدمين : " أن النحل أشبه الحيوان فى تدبير أمرها بالإنسـان " ، ثم قال : " أمر هذه شبيه بما مرَّ من سوس[٤] المدائن الـكثيرة الأهل " .

والنحل تبنى لملوكها على حدة [بيوتاً][٥] تكون فيها ؛ وكذلك تبنى لذكورها الزعيم (كذا) . وزعم بعضهم إن الذكور تنفرد ببناء بيوتها ، [وقال][٥]

---

(١) الفعل ساقط من الأصل ، وقد أضفناه ليستقيم المعنى . أما الجحل فيجمع على جُحول وجُحْلان ، انظر « المخصص » ، ج ٨ ، ص ١٧٧ .

(٢) فى الأصل : « تلدع » والصحيح لدغ أو لذع .

(٣) فى الأصل : « حليما » ، وهذه الجملة ترجمة لما جاء فى حيوان أرسطو ، وهو :

"The kings are the least disposed to show anger, or to inflict a sting." Hist. Animalium, P. 626a .

(٤) كذا فى الأصل ، والصحيح « سياسة » .

(٥) أضفنا ما بين الحاصرتين ليستقيم المعنى . وقد ذكرت هــذه الحقيقة — فى تفصـيل وإيضاح — فى الترجمة الإنجليزية لحيوان أرسطو ، ص ٦٢٣ ب ، وهى : =

بعضهم إن الذكور لا تعمل شيئاً ، والعمل للإناث ، وهى تقوت[١] ملوكها وذكورها . وليس للنحل أقوات (٦) إلا العسل .

والذكور لا تكاد تخرج إلا إذا أحبَّت أن تحرك أبدانها لتخف ، فإنها حينئذ تخرج بأجمعها ، فترتفع فى الهواء[٢] فتُدوى ، ثم ترجع ، فتدخل الخلية .

وإذا كان الزمان جدبا ، وقلّ العسل ، قتلت النحل ذكورها ، وكثيراً ما يهرب النحل الذكور إذا أحست بذلك ، فتُرى واقعة على ظهور الخلايا خارجا[٣] ، وهذا شاهد على ما ذكروا من شح النحل على العسل ، وشفقتها عليه ، والحرص على الادخار ، والأخذ بالوثيقة عند سوء الظن ، مع طيب النفس ، والسلس (كذا) عند رخاء البال ، وإمكان الكسب ، وإن هذا لخلق عجيب ، وفهم لطيف .

وكذلك ما ذكروا من طردها ذوات البطالة منها ، الكسالى ، المتكلة على كسب غيرها ، والمعوّلة على دخاير سواها ؛ ولو أننا استعملنا مثل

= «They first build cells for themselves; then for the so - called kings and the drones; for themselves they are always building, for the kings only when the brood of young is numerous, and cells for the drones they build if a superabundance of honey should suggest their doing so.”

(١) فى الأصل : « تقود » ، ولفظ « تقوت » أقرب إلى الصحة .

(٢) فى الأصل : « الهوى » .

(٣) ذكر هـذه الحقيقة أرسطو فى كتابه الحيوان ، انظر الترجمة الإنجليزية : Hist. Animalium, P. 626b .

هذا التدبير فى كسالانا كان أحزم لنا ، وأنفع لهم [١] .

ومن الشاهد على أنها لأنفسها ادخرت ما فى بيوتها ، وما جمعت من كدّها — لا لغير ذلك — شدة شحها عليه ، وضنها به ، وذبّها عنه ، وولهها إذا عُرض له ، والقاؤها نفسها فى المهالك ، فإنها تقاتل كل شيء عَرَض لذخائرها ، ثم لا تهرب منه — كائنا ما كان — إلا ما كان من أمثالها من النحل ؛ فإنه ربما أراد بعضها الغارة على بعض ، فاقتتلت حتى يقتل بعضها بعضا ، أو يهزمه ، فيهرب المقهور منها — حينئذ — ويُسلم حوزته ؛ قال ابن سينا : «وقد قاتل النحل نحلا غريبا زاحمها (٧) فى الخلية ، وكان رجل يعين النحل الأهلى فلم تلسعه ألبتة » [٢] ، والنحل إذا قويت على شيء لسعته أبداً حتى يموت أو يهرب ، ولذلك احتالت الشارة [٣] لها بالدخان حتى جلوها به ، ووصلوا إلى العسل .

---

(١) عُرف المقريزى بالنشاط ، ووفرة الإنتاج العلمى ، وقد تولى الحسبة أكثر من مرة ، ووظيفة المحتسب الأولى — الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر — ؛ لهذا لا نرى هذه اللمحة منه غريبة ، حين ينتهز فرصة الكلام عن كره النحل لكل عاطل منها أو كسول ، فيتمنى على قومه التشبه بها ، لأنهم لو فعلوا لكان ذلك — كما يقول — « أحزم لنا ، وأنفع لهم » .

(٢) وردت هذه القصة فى الشفا لابن سينا ، ج ١ ص ٣٢٥ ، ووردت بنصها أيضاً فى «حيوان أرسطو» ، انظر الترجمة الإنجليزية : Hist. Animalium, P.626b ، وفى هذا أيضا تأكيد لرأينا السابق .

(٣) فى «القاموس» : «شَارَ العسلَ شَوْراً ، وشِيَاراً ، وشيارة ، ومَشاراً ، ومشارة استخرجه من الوَقْبَة . . . والمَشار الخليّة ، والشّور العسل المَشُور» فالشارة إذن هم جامعو العسل من الخلايا ، وفى « المخصص » : « إذا دُخّنت الخلية ، يريدون شِيَار العسل فذلك الجلاء ، وقد جلاها ، وهى جَلوة النحل أى طَردُها بالدخان ... واسم الدخان الذى يُجْلى به الإيام ولا يقال لغيره من الدّواخن إيامٌ » .

قال أبو[1] على الحسين بن عبد الله بن سينا — فى كتابه الشفا — :
« وإذا لدغت النحلة[2] حيوانا وخلّفت الإبرة فيه ماتت ؛ وربما قتلت النحلة مَنْ تخلّف فيه الإبرة وقد قتلت فرسا[3] » قال : « وقد أخبرت بقرية [من قرى إسفينقان[4] يقال لها « اسفا كوخ » و] فيها خلايا النحل ، أنهم غُزوا مرةً ، وكاد الأكراد ينهبونهم ، فسلطوا عليهم النحل [بأن عمدوا إلى خلاياها فشوشوها ، وتواروا عنها][5] ، فهزمت النحل أولئك الأكراد لسعاً لهم ، ولدوا بهم » .

---

(١) فى الأصل : « أبوا » ، وابن سينا هو الشيخ الرئيس والفيلسوف الإسلامى الكبير ، ولد فى سنة ٣٧٠ هـ (٩٨٠ م) بأفْشَنة بالقرب من بخارى ، وفى بخارى تلق علومه الأولى ، وعنى عناية خاصة بالطبيعيات والإلهيات والطب ، وبدأ يصنف كتبه فى سن الواحدة والعشرين ، وقد اشتغل فى حياته بالعلم والسياسة ، ومن أهم كتبه كتاب « القانون فى الطب » (طهران ١٢٧٤ ، بولاق ١٢٩٤) ، وكتاب الشفاء (طهران ١٣٠٣) الذى ينقل عنه المقريزى هنا ؛ وقد مات ابن سينا فى همذان فى سنة ٤٢٨ (١٠٣٧ م) . انظر دائرة المعارف الإسلامية ، مادة « ابن سينا » ، ومابها من مراجع .

(٢) فى الأصل : « النحل » ، والتصحيح عن : « الشفا » ، ج ١ ، ص ٤٢٤ .

(٣) فى « الشفا » : « قد قتلت فرساً » ، والجملة هنا غامضة ، وسبب غموضها أنها ترجمة غير دقيقة لما ورد فى « حيوان أرسطو » ، ونص أرسطو واضح جداً وهو :

"Bees that sting die from their inability to extract the sting without at the same time extracting their iutestines. True, they often recover, if the person stung takes the trouble to press thc sting out, but once it loses its sting the bee must die. they can kill with their stings even large animals; in fact, a horse has been known to have been stung to death by them." Hist. Animaluim P. 626a .

(٤) إسْفينَقَان بليدة من نواحى نيسابور ، منها أبو الفتح مسعود بن أحمد الإسفينقانى ، انظر : « ياقوت ، معجم البلدان » ، وقد نقلنا ما بين الحاصرتين من : « الشفا » ج ١ ، ص ٤٢٤ .

(٥) الزيادات عن : « الشفا » ، ج ١ ص ٤٢٤ .

والنحل إذا لسعت شيئا ، فنشبت حُمَتها[١] فيه لم تستطع رجع حُمَتها[٢] فتنضل ، فإذا نصلت حمتها ماتت ، والحُمَة[٣] الشعر فى أذنابها ، [و] التى بها تلسع ؛ وهى إذا شاءت أخرجتها ، وإن شاءت تركتها[٤] ، وإنما الحمة فى العربية السم ، إلا أن العامة تسمى ذلك الشعر حُمَاة . قال ابن سينا : « لا يبعد أن تكون إبرة النحلة ، — مع أنها سلاح — نافعةً فى إحالة جوهر الرطوبات [إلى][٥] العسلية ، بأن تأتيها ، وترسل فيها قوة ما ، [وهذا منى تخمين ، وكأنى سمعته من بعض المتعهدين لهذه الأحوال][٥] .

وإذا دُخِّن لها ، (أى للنحل) فأحسَّت بأنه يؤخذ ما فى بيوتها من العسل بادرت إلى أكله ، فتأكله أكلا ذريعا ، حتى لو أمكنها (٨) استنفاده[٦] لفعلت .

وفى ذكورة النحل صنف تخاتل[٧] النحل ، فتدخل فى بيوتها ، فتأكل العسل ، وتسمى « اللصوص »[٨] ، فإذا قدرت النحل عليها ،

---

(١) الحُمَة السم ، أو الإبرة يضرب بها الزنبور أو الحية أو العقرب ، وجمعها حُمَات وحُمى . انظر : « اللسان » و « القاموس » .

(٢) فى الأصل : « حماتها » .

(٣) فى الأصل : « حماة » .

(٤) فى الأصل : « ردتها » واللفظ المستعمل هنا أصح .

(٥) الزيادات عن : « ابن سينا ، الشفاء » ، ج ١ ، ص ٤٢٤ .

(٦) فى الأصل : « أمكنه استنفاذه لفعل » ، وقد صحح بعد مراجعة : « العمرى ، مسالك الأبصار » ، ج ١٢ .

(٧) فى الأصل : « تقاتل » ، والتصحيح عن : « المخصص لابن سيده » ، ج ٨ ص ١٧٩ .

(٨) وهذا أيضاً ترجمة لما جاء فى « حيوان أرسطو » ، وهو : =

أو ظفرت بها فى مثاويها ، قتلتها . ولا تخلو مثاويها — إذا سرحت — من حَفَظَةٍ منها تكون فيها .

وإذا كان النحل كريما لم يترك فى الخلية هامة تضر بالشهد إلا قتلتها ، أو أخرجتها ؛ وأما غير الكريم فإنه يتوانى ، ويتغافل ، ويترك أعماله تفسد ، وتهلك ، ويَعْرِضُ للخلية من بطالة النحل وتهاونها ، رائحة منتنة جداً ، فتفسد .

وجنس النحل ألطف أجناس الحيوان كلها ، ولذلك تكره[١] كل رعى يكون منتنا ، أو زهم الرائحة ؛ [وهى تكره النتن وتكره أيضا الروائح الدهنية[٢]] والأدهان ، وإن كانت عطرة ، وتلسع المتدهن[٣] إذا[٤] دنا منها ؛ وتوافقها الأصوات اللذيذة المطربة ، [وإذا رقص لها وصُفق ، اجتمعت لذلك][٥] ؛ ولا يغترون بشىء من معايش الناس . والنحل يحب

="When the robber — bee and the drone appear, not only do they do no work themselves, but they actually damage the work of the other bees; if they are caught in the act, they are killed by the working bees. Hist. Animaluim, P. 625a .

(١) فى الأصل : « يكون » .

(٢) الزيادة عن « الشفا لابن سينا » ، ج ١ ، ص ٤٢٤ .

(٣) فى الأصل : « مدهن » ، والتصحيح عن المرجع السابق ، وهذه ترجمة لما جاء فى « حيوان أرسطو » وهو :

"... they are annoyed by all bad smells and by the scent of perfumes, so much so that they sting people that use perfumes." Hist. Animal. P. 626a .

(٤) فى الأصل : « دنى » .

(٥) أضيفت الزيادة من كتاب « فى الحيوان » ص ١١٥ ، انظر أيضاً « الشفا لابن سينا » ، ج ١ ، ص ٤٢٥ حيث يذكر أن « النحل يعجبه التصفيق والغناء ، وبهما =

الصعتر[١] ، وأجوده الأبيض .

والنحل تستتر عن الريح ، وتشرب الماء الصافى [العذب ، تطلبه حيث كان][٢] ، ولا تشرب إلا بعد إلقاء التفل (كذا) .

وإذا سرحت ، ورعت ، قيل « جَرَسَتْ[٣] ، تجرس ، جَرْساً » ، [أى] إذا أخذت الشَّمْعَ[٤] من الزهر أو العسَلَ ، — كل شىء جَرْس — (كذا) .

والنحل تجىء بالشمع على أعضائها ، وترى النحلة مثقلة به ، وذلك الشمع نائس فيها[٥] أى متحرك ؛ وقد أعيا الناس أن يعاينوا أخذَ النحلِ الشمعَ ، وظن قوم أنه شىء يكون لاصقا ببطون الأنوار كالغبار ، تكون فيه[٦] ، لزوجة — وتوجد هذه الصفة فى الأنوار — ، فيرون أن النحل (٩)

= يجتمع ويرد إلى الخلية » . ويوضح هذا ما جاء فى : « حيوان أرسطو » ، وهو :

"Bees seem to take a pleaeure in listening to a rattling noise; and consequently men say that they can muster them into a hive by rattling with crockery or stones . . . etc." Hist. Animal. P. 626b .

(١) السعتر أو الزعتر أو الصعتر — وهو بالصاد أفصح — نبات طيب الرائحة ، حريف ، زهره أبيض إلى الغبرة ويسمى باللاتينية Origanum وبالفرنسية Origan; وبالانجليزية Marjoram . انظر : «معجم أسماء النبات للدكتور أحمد عيسى بك » ، و « أقرب الموارد للشرتونى » .

(٢) أضيفت الزيادة من كتاب «فى الحيوان» ، ص ١١٥ .

(٣) جرَسَت النحل تجرُس ، وتجرِس جرْسا إذا أكلت الشجر لتُعسِّل ؛ انظر « المخصص » ، ج ٨ ؛ ص ١٧٩ .

(٤) فى الأصل : «الشحم» ، وقد صُحح اللفظ بعد مراجعة « المخصص » .

(٥) فى الأصل : « نابس منها» .

(٦) فى الأصل : «منه»

تحتّ ذلك بأعضائها ، وأنها تجىء بالشمع على أيديها المقدمة ، ثم تحتّها عنها بقوائمها المتوسطة ، فإن بقى شىء على قوائمها حتته عنها بأرجلها[١] المؤخرة ، وأما العسل فإنه شىء يكون فى أعماق الأنوار من لطيف غذاء النبات ، قد انتهى فى النضج فحلا وعذب .

والنحل تغمس ألسنتها فى أعماق النوار ، تترشف تلك الجناة ؛ ومن اختبر ذلك عرفه ، فقد مصصنا كثيرا من الأنوار فوجدنا[٢] فى أعماقها تلك الحلاوة ؛ وذلك الترشف هو جَرْسُها العسل .

وألسنة النحل حرق (كذا) ، طوال ، حديدة الأطراف ، مهيأة لهذا الشأن ، لا للصوت ، فإن النحل لا تصّوت ، ولا شىء من الذباب ، والنحلة ذبابة ؛ وبهذا العضو توصِّل جميع أجناس الأذية إلى غيرها ، وبه توصِّل أيضاً الطعم إلى أجوافها ، لأن طعمها ليس شيئاً سوى الرطوبات ؛ فبهذا العضو تمتصها ، ثم ترد ألسنتها تلك فى أوعيتها من أفواهها ؛ وسميت ألسنة ، وليست بألسنة ، ولا خراطيم ، ولكنها بالألسنة أشبه .

وإذا ترشفت النحل تلك الحلاوة من الأزهار ، والأنوار ، فجمعتها فى

---

(١) وهذا ترجمة لما جاء فى «حيوان أرسطو» وهو :

"Bees scramble up the stalks of flowers and rapidlygather the bees-wax with their front legs, the front legs wipe it off on to the middle legs, and these pass it on to the hollow curves of the hind - legs." Hist. Animal. P. 624[a] .

(٢) هنا إشارة لطيفة إلى محاولة المقريزى التحقق من صحة ما يورده فى كتبه بالتجربة الشخصية .

(٢) فى الأصل : «لترشف» .

صدورها ، أقبلت إلى الشهد فأتاعته[١] ، أى أفرغته فى نخاريبه ، والنخاريب[٢] — بالنون قبل الخاء المعجمة — الثقب المهيأة من الشمع ، وبالتاء المثناة من فوق فردت (كذا) كبيوت الزنابير .

والنحلة إذا وقعت على ضربٍ من الزهر (١٠) فلم تكتف بما جرست منه ، انتقلت إلى مثله من جنسه ، ولم تنتقل إلى جنس آخر ، إلى أن تراجع الخلية ، فتمج ما استوعبت[٣] ، ثم تعود إلى الرعى ، فإذا امتلأت بيوت الشهد من العسل على تلك النخاريب غطته بغطاء رقيق من الشمع حتى يكون الشمع محيطا بها من جميع جوانبها ، كأنها رأس البَرْنِيَّة[٤] ، مسدودة بالقراطيس ، لينضج العسل ، فإنها إن لم تفعل ذلك فسد الشهد ، وتولد فيه دود يسمى العنكبوت . فإن قويت على تنقيته منها سلم الشهد ، وإلا فسد كله .

وإذا أزهرت الأعشاب حملت النحل الشمع ، ولذلك ينبغى أن يؤخذ بعض الشمع فى تلك الأيام ، إن احتيج إليه ، فإنها تعيده من ساعته .

---

(١) فى «القاموس» : «أتاع : قاء» .

(٢) فى الأصل — هنا وفى الصفحات التالية — : «النخاريت» ، والصحيح «النخاريب» فقد ورد فى «القاموس» : «النُّخْرُوب الشق فى الحجر أو النقب فى كل شىء ، والنخاريب الثقب المهيأة من الشمع لتمج النحلُ العسلَ فيها» ، انظر أيضا ، «اللسان» .

(٣) فى الأصل : «استوغت» ، وهذا ترجمة لما جاء فى «حيوان أرسطو» وهو :

"On each expedition the bee does not fly from a flower of one kind to a flower of another, but flies from one violet, say, to another violet, and never meddles with another flower until it has got back to the hive, on reaching the hive they throw off their load . . ." His Animal· P. 624b .

(٤) البرنيَّة إناء من خزف ، انظر «القاموس» ، وهذه الحقيقة مأخوذة عن «حيوان أرسطو» ، انظر . Hist Animal. P. 624a .

والنحل تعمل فى العسل فى زمانين : فى الربيع والخريف ، والربيع أجوده وأكثره[١] .

وهى تجىء إلى بيوتها بشىء آخر ، ليس بشمع ، ولا عسل ، ولكن بينهما ، كأنه خبيص نائس ، فيه بعض اللين، إذا غمزته تفرق ، وليس بشديد الحلاوة ، ولا عذب ، يشبه القدماء حلاوته بحلاوة التين ؛ تجىء به النحل كما تجىء بالشمع ، تحمله على أعضادها ، وسوقها .

والعرب تسميه : "الإكبرُ"[٢] — بكسر الباء وضمها — وهو : "المُوم"[٣] ؛ ويُقال فيه "العِكْبِرُ"[٤] ؛ فترى النحلة تطير ، وذلك العِكْبِر متعلق بها[٥] ، فتجعله فى نخاريب الشهد مكان العسل ، ولا تكثر النحل منه إلا فى السنة المجدبة[٦] ، وأكثر ما تأتى بالعكبر (١١) من

---

(١) وهذا ترجمة لما جاء فى «حيوان أرسطو» وهو :

"There are two seasons for making honey, spring and autumn; the spring honey is sweeter, whiter and in every way better than the autumn honey." Hist Animal. P. 626 b .

(٢) فى : « القاموس » : الإكبر كاِثمد شىء كأنه خبيص يابس ليس بشديد الحلاوة يجئ به النحل » .

(٣) فى « القاموس » : « الموم الشمع » ، وجاء فى كتاب « فى الحيـوان » ص ١١٤ عند تفسير « الموم » ما يأتى : « وغدا النحل من العسل يسمونه الموم يعنى الشمع ، يجلبه عن (كذا) ساقيه من أطراف الشجر ، وهو رطوبة لزجة تسقط عليها أوان الربيع » .

(٤) العِكْبِر شىء تجىء به النحل على أفخاذها وأعضادها ، فتجعله فى الشهد مكان العسل » . انظر : « القاموس » .

(٥) فى الأصل : « منها » . (٦) فى الأصل : « المجذبة » .

السِّدْر [١] ، والناس يأكلونه كما يؤكل الخبز ، فَيُشْبِع ؛ ويحملونه فى المزاود إذا سافروا ، وهو مفسد للعسل [٢] ؛ والنحل تأكله إذا لم تجد [٣] غيره .

والنحل تشرب من الماء ما كان صافياً عذبا ، وتطلبه حيث كان ، ولا يأكل من العسل إلا قدر شبعه ، فإذا قلّ العسل فى الخلية قرنه بالماء ليكثر خوفا على نفسه من نفاده .

وللنحل نَجْو [٤] ، وأكثر ما تقذف إذا كانت تطير فى دفعات ، لأن

---

(١) السدر شجر النبق الواحدة بهاء ، والجمع سدرات ، وسِدِرات ، وسِدَرات ، وسِدَر ، وسُدُر ، « القاموس » ، وقد ذكر (ابن سيده فى المخصص ، ج ٨ ، ص١٨٢) ، أسماء الأشجار التى يقتات منها النحل ، فقال : « فأما الشجر الذى يُعَسِّل عليه ، فمنه النذع ، والسحاء ، والشّيعة ، والضّرم ، والسدر ، والضّهيأ ، والقتاد ، والمظ » .

وقد جاء فى « حيوان أرسطو » أن خلايا النحل يجب أن تقام إلى جانب نباتات معينة ، وهذا نص قوله :

"It is advisable to plant about the hives pear-trees, beans, median-grass, syrian-grsas, yellow pulse, myrtle, poppies, creeping-thyme, and almond-trees. Hist. Animal. P. 627b.

وقد ترجم ابن سينا (الشفا ، ١ ، ٤٢٥) هذا النص بقوله : « وينبغى أن يكون بقرب الخلايا كمثرى جبلى ، وباقلى ، وقثاء رطب ، وجلنار ، وآس ، وخشخاش ؛ ونسيسنبر (؟) ، ولوز » ؛ وذكر أرسطو فى مكان آخر أسماء النبات الذى يجرسه النحل ؛ فقال :

The flowers from which they gather honey are as follows : the spindle-tree, the melilot-clover, king's spear, myrtle, flowering-reed, withy, and broom." Hist. Animal. P. 626 b.

(٢) فى الأصل : « العسل » . (٣) فى الأصل : « تحب » .

(٤) النجو ما يخرج من البطن من ريح أو غائط . انظر : « القاموس » .

فى زبلها نتناً[١] ، وهى تكره النتن ؛ فإذا أنجت ففى[٢] موضع معتزل لا يختلط ببنيانها ، ولا يفسد من عسلها شيئا .

و إذا امتلأت نخاريب الشهد عسلا ختمتها ، وتختم أيضاً ما يكون فيه فراخها من النخاريب بأرق الشمع[٣] ، والخَتْم أن تسد أفواه النخاريب بشمع رقيق ليكون الشمع محيطا بالعسل فى [كل][٤] وجه ، ور بما الطُخُّ الخَتْم[٥] — بعد الفراغ منه — بشىء أسود شديد السواد ، حريف الريح ، شبيه بالشمع ، وهو من الأدوية الكبار للضرب ، والجروح ، و يسمى بالفارسية : " موميای "[٦] ، وهو عزيز قليل ، ومن خاصيته أنه يجذب الشوك والنصول ، و يقال من استصحبه أورثه الغم ، ومنعه الاحتلام .

والنحل تُحسُّ بالبرد والمطر ، وعلامة ذلك لزومها الخلية[٧] . وفى لطف

---

(١) هذا ترجمة لما جاء فى «حيوان أرسطو» وهو :

" . . . They often fly away to a distance to void their excrement because it is malodorous . . ." Hist. Animal· P. 626 a .

(٢) فى الأصل : «فى» وقد زيدت الفاء ليستقيم المعنى .

(٣) انظر أيضا : Hist Animal. P. P. 626 a , 625 b .

(٤) زيد هذا اللفظ ليستقيم به المعنى .

(٥) فى الأصل : « لطخت الختام » ، والختم العسل ، وأفواه خلايا النحل ، وأن تجمع النحل شيئاً من الشمع رقيقاً أرق من شمع القرص فتطليه به ؛ انظر : « القاموس »

(٦) ذكرنا فيما سبق ، ص ١٧ ، حاشية ٣ ، تعريفين للموم ، وقد جاء فى : «القزوينى، ص ٤٠٠ » ، و« العمرى، مسالك الأبصار ، ج ١٢ » أن «الموم هو وسخ كواير النحل » ، وقال صاحب كتاب « فى الحيوان » ص ١١٤ ، أن النحل « يلقط من الزهر الموم ، ولا يأكل منه إلا ما كان طيب الريح ، وما فيه رطوبة حلوة أو عذوبة » .

(٧) وهذا أيضاً ترجمة عن «حيوان أرسطو» راجع : Hist. Animal. P.627b .

إحساس كثير من الحيوان عجب عجيب ، و "إنَّ فِى ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأولِى الألْبَابِ" "فتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنَ الخَالِقِينَ" .

فصـــــل

الشمع هو (١٢) جدران بيوت النحل التى تبيض فيه وتفرخ فيها ، ويكون خزانة للعسل ؛ ويقال الشمْع — بإسكان الميم ، وتحريكها — ؛ ويقال الشُّهد — بضم الشين وفتحها — والواحدة شهدة ، وفيها الوجهان ، والضم لغة أهل الحجاز ، وجمع الشهد شهاد ، وكل شهدة قرص ، والجمع قروص .

ولمأوى النحل و بيوتها أسماء : فإن كانت بيوتها فى الجبال فهى : المباءة[١] ، والوَقْبة[٢] ، والجَبْح [والجَبْخ[٣]] — بالحاء المهملة والخاء المعجمة ، والفتح والكسر — . فإذا عسّلت النحل فيما يتخذ لها الناس من الخشب فهى النحايت[٤] ، واحدتها نحيتة[٤] ؛ وتسمى الخلايا[٥] ، واحدتها خليَّة ، وكذلك ما يعمل لها من الطين والأخثاء فهى خلايا . وقد يسمى ما تتبوأه فى الجبال أيضا خلايا .

---

(١) المباءة المنزل وبيت النحل فى الجبل . (القاموس) .

(٢) الوقبة الجُحْر الغائر : (المخصص ، ج ٨ ، ص ١٧٩) ، وجمعها وقوب ووقاب .

(٣) الزيادة عن المخصص حيث ورد أن الجبح هو الشق الضيق ، وفى «القاموس» : الجبح خلية العسل ، ويجمع هذا اللفظ على : أجْبُح ، وأجباح ، وأجباخ .

(٤) فى الأصل : « نحايب » و « نحيبة » وهو خطأ ، وسميت بذلك لأنها تنحت بالفؤوس من مُسَوَّق الشجر العظام (المخصص ، ج ٨ ، ص ١٨٠) .

(٥) فى الأصل : « الخلاية » ، وهو خطأ ؛ والخلية ، والخلى ما يعسل فيه النحل ، أو مثل الراقود من طين ، أو خشبة تنقر ليعسل فيها ، أو أسفل شجرة تسمى الخَزَمة كأنه راقود . (القاموس) ، وانظر أيضاً : (المخصص ، ج ٨ ، ص ١٨٠) .

ومن الخلايا ما تنصبه فى الحيطان ، وأكثر ذلك تنضدها فى المصانع ، وواحدها مصنعة ، وهى موضع يُعْزَل للنحل ، مُنْتَبِذٌ عن البيوت ، فتُنضدها سافاً سافاً على نَشَز من الأرض [١] ، وتُخالف بين أبوابها فتكون أبواب ساف إلى أدبار سافٍ كذلك حتى تُنَضَّد جميعا ، فربما كان المنضد منها مثل الدار العظيمة ، ثم تغطى [بنَجَب الشجر [٢]] لتُكِنَّها .

ويُقال للخلية معسلة [٣] ، وقطر فلانٌ معسلته إذا أخذ ما فيها من العسل .

والخلايا الأهلية تسمى فى بعض البلدان الدّبَاسات [٤] ، ولا تعرف فى كلام العرب ؛ وتسمى أيضا الكوارات ، والجمع كواير [٥] ، والواحدة

---

(١) فى الأصل : « شيئاً فشيئاً فاعلى نشر » والتصحيح عن : (المخصص ، ج ٨ ، ص ١٨١) .

(٢) الزيادة عن : (المخصص ، ج ٨ ، ص ١٨١) .

(٣) جاء فى المرجع السابق : « ويقال للخلية عَسَلة ، فإذا كانت واسعة كثيرة العسل فهى عاسلة ، والجبح عاسل » .

(٤) الدبس عسل التمر وعسل النحل (القاموس) .

(٥) يفهم من النص أن « الكوارات » مفرد جمعه « كواير » ، والصحيح أن اللفظين صيغتان للجمع ، انظر ماسبق ص ٦ ، هامش ٢ . وبهذا اللفظ ينتهى ما ذكره المقريزى هنا من مسميات لبيوت النحل أو خلاياه ، غير أن صاحب المخصص ذكر إلى جانب هذه المسميات أسماء أخرى لخلايا النحل آثرنا نقلها هنا لتتم بها الفائدة ، قال : فى ج ٨ ص ١٨٠ « وتسمى بيوت النحل النحُت ، الواحدة نحيتة ، والأجزاع ، الواحد جِزْع ، ومن أبنيتها الجَزْم ، والأكفاء ، والسِّن ؛ فالجزم هو المستدير فى عرض الخلية . والأكفاء الذى فى نصائبه . والسِّنُّ الذى يبنى فى طول الخلية حتى يكون العرض مابين طرفيها إذا ملئت ، وهى أحب الأبنية إلى النحل ، وأصلبها شيارا . ويكون الخَلِىّ فى مواضع شتى . فمنها مايكون فى البيوت فى قُتَر تجاب فى جدرها ، فيكون مآب النحل خارجا ، وتكون =

كوّارة ، وهى عربية ، وقيل الـكواير صغار الخلايا . (١٣) وقيل إذا بنت النحل بيتا من غير أن يوضع لها فهو الـكُوّارة — بضم الكاف — ومن لطيف معرفة النحل بمـا يصلحها أنهن قد علمن ضعفهن ، فهن يشيدن عشاشهن ، وتحصنها بالضيق والاعوجاج ، و إذا كان باب الخلية واسعا ضيقنه.

ومن شأن النحل فى تدبير معاشها.أنها إذا أصابت موضعا نقيا بنت فيه بيوتا من الشمع أولا ، ثم تتخذ البيوت التى تأوى فيها ملوكها ، ثم بيوت ذكورها [التى لا تعمل[1] شيئا ، والذكور أصغر جرما من الإناث ، وهى تكثر المـادة داخل الخلية ، وإن طارت فهى تخرج بأجمعها ، وترتفع فى الهواء ، ثم تعود إلى الخلية][2] ، ثم بيوت إناثها ؛ والنحل تعمل الشمع أولا ، ثم تلقى فيه البزر ، وتقعد عليه ، وتحضنه كما تحضن الطير ، فالشمع

= الخلية فى البيت ومنها مايوضع فى الشجر إذا كانت شجرة تمتنع من السَّـرِق ، ومنها مايوضع فى الصخر التى لاتؤتى إلا بالحبال ، ولا يأتيها إلا الرجل المعيد — وهو العالم بالرُّقِىّ والنزول من الجبال — ، ومنها ما يوضع حصائر ، وهى محاطة بالجدرات — وهى تسمى القرايا — ومنها ما يوضع فى الجبال للذين يُنْفضون فى غير حمى فى الحجرة ، والمواضع توضع فى مواضع بارزة ، وإقبال الصَّـخّد ، فإذا كان شىء منها خارجا عن شىء سمى وَرِكا ، وتكون فى الغيران ، فما كان فى غار صغير داخلا فهو حُجر ، وما كان فى غار مستقنع غير ذى غور فذلك يسمى الـقِنْـع ، والوسط منها يسمى الوَكْـرة ، ويوضع فى المواقر — والواحد مَوْقِر — وهو موضع يكون فوقه حاجب قدر ما يوضع فيه خلية واحدة أو اثنتان » .

(١) تخلط كتب الحيوان العربية دائماً عند تحديد مركز وعمل ذكر النحل وأنثاه ، فهى تارة تجعل أمير النحل هو العامل ، وهى تنفى عنـه العمل تارة أخرى ، انظر ما سبق ص ٩ ، ١٦ و (الشـفا لابن سينا ، ج ١ ، ص ٤٢٣) حيث يقول : «والذكران لا يعملون» ، وهى تجعل الذكر دائما هو أمير النحل ، والذى يقره العلماء المحدثون أن الإمارة بين النحل للأنثى ، وأن العمل للعاملات .

(٢) الزيادة عن (الدميرى ٢ ص ٢٩٨) .

لها بمنزلة العش للطير ، والبزر بمنزلة البيض ، [فيكون من ذلك البزر دود أبيض ، ثم تنهض الدود ، وتغذى نفسها ، ثم تطير ، وهى لا تقعد على أزهار مختلفة ، بل زهر واحد .][1] وهى تملأ بعض البيوت عسلا ، و بعضها فراخا .

وهى تتخذ البيوت قبل المرعى ، فإذا استقر لها بيت ، خرجت منه فرعت ، [وأكلت من الثمرات][1] ، ثم آوت إلى بيوتها [لأن ربها سبحانه وتعالى أمرها باتخاذ البيوت أولا ، ثم الأكل بعد ذلك][1] .

وهى تبيض فى بعض البيوت ، وتحضن ، [وتفرخ] ؛ وتأوى إلى بعض بيوتها ، وتنام فيها أيام الصيف ، والشتاء ، و يوم المطر ، والريح ، والبرد ، [وتتقوت من ذلك العسل المخزون — هى وأولادها — ، يوما فيوما ، لا إسرافا ، ولا تقتيرا ، إلى أن تنقضى أيام الشتاء ، ثم تأتى أيام الربيع ، و يطيب الزمان ، و يخرج النور والزهر ، فترعى منه ، وتفعل كما فعلت عام الأول ، ولم يزل هذا دأبها بإلهام من الله تعالى][2] .

ومن آفات الخلايا السوس[3] ، ودواؤه أن يطرح فى كل خلية كف ملح ، وأن تُفتح فى كل شهر مرة ، وتدخن بأخثاء البقر .

ومن آفاتها أيضا دود يتولد فيها صغير ، تنبت لها أجنحة ؛

---

(١) الزيادات من المرجع السابق نفس الصفحة .

(٢) الزيادات عن : (القزوينى ، عجائب المخلوقات ، ص ٣٩٩) ؛ و(العمرى ، مسالك الأبصار) .

(٣) انظر التعريف بالسوس فى : (الدميرى ، حياة الحيوان ، ج ٢ ، ص ٣٤) .

وفراشة رقطاء تدخل الخليّة فتأكل العسل حتى تربو[١] ، ولها عينان وسمعان[٢] ، فتضر بالنحل وبالعسل ، (١٤) ولا تستطيع الخروج من الخليّة لعظمها حتى تُفتق الخلية ، فتؤخذ ، فتُذبح ؛ والسُرْفة[٣] مضرة بالخلايا ، وهى دودة رقطاء شعراء ، تأكل ورق الشجر ، وتنسج عليه ، وهى من آفات النحل .

ومن آفات النحل الدَّبْر ، يقتلها ، ويذهب بها إلى بيوتها ؛ ومن آفاتها الخطاطيف ، والضفادع ، فإنها تلتقط النحل إذا وردت لتشرب ؛ ومن آفاتها الجراذين ، تكمن لها بقرب الخلايا فتلقفها ، ولا تقدر النحل لها على ضرر[٤] .

---

(١) فى الأصل : «تربوا» . (٢) فى الأصل : «واسمعان» .

(٣) عرف (الدميرى ، ج ٢ ، ص ١٨) السرفة بأنها الأرضة وهى دويبة سوداء الرأس وسائرها أحمر تتخذ لنفسها بيتا مربعا من دقاق العيدان تضم بعضها إلى بعض بلعابها على مثال الناموس ثم تدخل فيه وتموت ، ويقال سرفت السرفة الشجرة تسرفها سرفا إذا أكلت ورقها ، فهى شجرة مسروفة .

(٤) ذكر (ابن سينا فى : الشفاء ، ج ١ ، ص ٤٢٤) هذه الآفات فى أسلوب مختلف فقال : « . . وللنحل أعداء كثيرة كالزنابير ، والخطاطيف ، وأصناف من صغار الطير ، والضفادع النهرية ، والأجمية يتلقى النحل الواردة فيبتلعه ، والجراذين خاصة ، فإنها ترصدها فى باب الخلية . . » ، وهذان وغيرهما من كتاب العرب نقلوا عن «حيوان أرسطو» فقد ورد فيه ما يلى :

"Their worst enemies are wasps, and the birds named titmice, and furthmore the swallow and the bee—eater. The frogs in the marsh also catch them if they come in their way by the water—side, and for this reason bee - keepers chase the frogs from the ponds from which the bees take water; they destroy also wasps' nests, and the nests of swallows, in the neighbourhood of the hives, and also the nests of bee eaters. Hist. Animal. P. 626b .

والنحل تمرض على رعى الزهر التى وقعت عليها القملة ، و إذا كان الربيع ممحلا ، أو حاراً ، شبيهاً بالصيف فى الحر ، وقلة المطر ، لسرعة المحل إلى النحل .

و يعرف خصب الخليّة بكثرة دَوْس النحل فيها ، وخروجها ، ودخولها.

ويسمى فراخ[1] النحل الطَّرْد ، والجمع طرود ؛ و يسمى أيضاً اللَّوْث[2] والنحل تودع فراخها نخاريب[3] الشهد ، وتختم عليها بالشمع ، فإذا آن لها الخروج شقت الختام ، وخرجت . وملوك النحل لا تُرَى خارجا إن لم تكن مع عنقود من عناقيد الفراخ ، و إذا خرج معها التفت الفراخ به ؛ و إن كانت عدة ملوك افترق الطَّرْد ، فصار مع كل واحدٍ من الملوك فرقة من الطَّرْد ، و إنما قالوا عناقيد[4] الفراخ ، لأن شكل الفراخ إذا خرجت من الخلية فى التفافها مثل عنقود .

و إذا خرجت الفراخ بيعسوبها ، وسقطت على شجرة أو غيرها ، احتال القوم على يعسوبها حتى (١٥) يأخذوه ، و يلقوه فى خليَّة ، أو نحوها ، فإن الفراخ كلها تصير معه حيث يصير ، و إذا أخذ يعسوب خليّة اتبعه[5] جميع نحل تلك الخلية حبا ليعسوبها ، و إذا هلك الملك هلك جميع الطَّرْد ،

---

(١) الفَرْخُ ولد الطائر وكل صغير من الحيوان والنبات . « القاموس » .

(١) فى الأصل : « اللوت » وقد صحت وضبطت بعد مراجعة . (المخصص . ج ٨ ، ص ١٨١) .

(٣) فى الأصل : « نخاريت » ، انظر ص ١٦ ، هامش ٢ .

(٤) فى (المخصص ، ج ٨ ، ص ١٨١) : « عناقيد الفراخ ما يخرج من الجِبْح فى شكل العنقود والتفافه » .

(٥) فى الأصل : « لا تبعه » .

و إن خرج الملك طلبه الطرْد حتى يجده بمعرفة رائحته .

والعسل الحسن عسل الفراخ لقلة تجربتها ، وذلك أنها مبتدئة ، فلا تترك غاية ؛ و إذا خرجت الفراخ الحدث ابتدأت فى العمل بعد ثلاثة أيام ؛ و إذا أرادوا إدخال الفراخ الخلية دلّكوا باطنها بورق طيب الرائحة لعجبها به ، لأن النحل تعجب بالرائحة الطيبة ، وتكره الرائحة الخبيثة ، ولذلك ربما كرهت خليتها ، وهمت بتركها ، وعلامة ذلك أن يتعلق بعضها ببعض ، فإذا رأى القوم ذلك عرفوه ، فنضحوا داخل الخلية بشراب حلو فتألفها ؛ و إذا دهن إنسان يده بدهن كريه الرائحة ، ثم أدناها إلى النحل لم تلسعه .

وفراخ النحل أزعر من الأمهات ، والأمهات زُغْب الرقاب ، قُرْع الرؤوس ، وفى رؤوسهن قبح .

والنحل تسمى أول ما تخرج أولادها « المراضيع »[١]، وتسمى الفراخ « الرضع » ، وليس ثم رضاع ، و إنما هذا استعارة .

و إذا تمت الفراخ نحلاً قيل هى نحل أبكار ، إلى أن تُفْرِخَ ؛ ومنه كتاب الحجاج بن يوسف الثقفى إلى عامله بفارس : " أن ابعث لى بعسل من عسل خُلَّار ، من النحل الأبكار ، (١٦) من الدستفشار[٢] الذى لم تمسه

---

(١) فى الأصل : « المراضع » والتصحيح عن المخصص ، ج ٨ ، ص ١٨١ ، حيث أورد نفس الجملة مع اختلاف يسير فى الألفاظ ، وفى آخرها استشهد بالبيت الآتى :

يَظَلّ على الثَّمْراء منها جَوَارِسٌ
مَرَاضيعُ صُهْبُ الريش زُغْبٌ رقابُها

(٢) فى الأصل : « المستفشار » والتصحيح عن معجم البلدان لياقوت .

النار[١]" . وروُى : "عَسَلُ أَبْكارٍ ، يريد الجوارى الأبكار لا يليه غيرهن" .

والنحل الكريم هو الذى يتقن عمله ، فيأتى بوجوه الشهد مُلْسًا . وإذا لم يكن كريماً جاء الشهد قليل الاستواء ، منفتح الخاتم ، كأنها تعمل أعمالها بالبحث كيفما جاء .

ويقال إن العسل الأبيض عمل شبابها ، والعسل الأصفر عمل كهولها . وذكور النحل أعظم جثثا من إناثها ، ولا حُمَات لها ، وهى أبطل ، وأقل حركة .

والنحل إذا كثرت ملوكها فى الخلايا قتلتها ، لئلا تكثر فتشتت النحل ، لأن النحل يتفرق على الملوك .

ويُشار[٢] عسل الخلايا فى السنة مرتين : مرة فى الربيع ، وهو أجود الشيارين ، ومرة فى الخريف . يقال : "شار العسلَ يشورُ شَوْرًا ، ومَشَارةً ؛ واشتاره يَشْتاره اشتيارا ؛ وأشارَه يُشيره إشَارةً" ، والشَّوْر العمل فى اجتناء العسل وأخذِه[٣] ، ثم [سُمى][٤] العسلُ أريًا[٥] .

---

(١) فى الهامش أمام هذا اللفظ الجملة الآتية : « قوله حلاّر موضع ، والمستفشار الذى يعصر باليد » . وفى معجم البلدان لياقوت : « خُلاَّر موضع بفارس يجلب منه العسل ، ومنه حديث الحجاج إلى عامله بفارس : ابعث إلىّ من عسل خلار من النحل الأبكار ، من الدستفشار ، الذى لم تمسه النار » .

(٢) فى الأصل : « وليشار » .

(٣) فى الأصل : « اجتناء النحل واحده » .

(٤) هذا اللفظ غير موجود فى الأصل ، وقد أضيف ليستقيم المعنى .

(٥) فى الأصل : « أربا » .

والعامة تُسمى شَيَّار العسل جَزَّاراً[١] ، فيقولون : « جزَّار الشهد » ، ويسميه آخرون : « قطَّافاً » ، وإذا أرادوا اشتيار العسل دخَّنوا على النحل حتى يخرج من الخلية ، وذلك جلاؤها ، وقد جلاها يجلوها جلاءً[٢] ، وهى جَلْوَة النحل ، أى طردها بالدخان .

ويُقال لذلك الدخان الإيام ، ولا يُقال لشىء من الدخان إيام سواه ، فيقال إذا دُخِّن عليها آمَها — بالمدّ — يؤومها إياما فهو آيم ، والنحل مؤومة ، وإن شئت مؤومة عليها ، فإذا جلوها بالإيام — فى أخذ الشيارين (؟) — وأخذوا ما فى الخلية من العسل تركوا لها مقدار (١٧) قوتها فى شتائها ، وإلا هلكت ؛ وربما جعلوا مكان العسل تمراً ، أو زبيباً ونحوه من الحلو ، فتقتاته ، فإن تُرك لها من العسل أكثر من حاجتها تعطلت ، وقلَّ عملها .

ومما يُنَشِّط النحل للعمل ، أن تقل الذكور فى الخلية ، فإذا قُطِف الشهد ، فمن الناس مَنْ يُخَلِّص العسل من الشمع بالنار ، ويطبخ الشهد حتى إذا ذاب أقره حتى يبرد ، فيعلو الشمع جامداً ، فيؤخذ ، ويبقى العسل خالصاً ، ومن الناس من يُخَلِّصه بالاعتصار بالأيدى ، وإن كان كثيراً ، فبالأرجل ، وذلك هو الدستفشار ، الذى لم تمسّه النار ، وهو أفضل .

وكان للعرب فى كل مصنعة من مصانع العسل معصرة من مجيرة (كذا) يُلقى[٣] الشهد فيها ، فإذا أُلقى الشهد فيها تكسّر ، وبرز العسل

---

(١) ورد فى « القاموس » : الجزر شور العسل من خليته » ، فاستعمال لفظ الجزّار هنا استعمال عربى صحيح .

(٢) جلا النحل جلاء دخن عليها ليشتار العسل . « القاموس » .

(٣) فى الأصل : « يلق » .

عفواً ، فجرى وسال فى حياض[١] ، فيجتمع فيها وقد أزيل الشمع وخلص ، فما برز من العسل عفواً وجرى ، فذلك العسل ، وأصفاه ؛ وما سال إلى الحوض ، وقد سال شمعه سُمِّى ذَوْباً[٢] ، وشَيْلاً[٣] ؛ فإن بقى فى الشمع من العسل شىء اعتصر بالأيدى ، ثم تُوعى[٤] العسل فى الوجاب ، والوجاب أسقية عظام ، السقاء منها جلد تَيْس وافر ، وواحد الوجاب وَجْبٌ .

وكانوا لا ينتفعون بالشمع ، ويرمون به فإذا تطاولت الأيام بَلِيَ فاسودّ ، فزبلت[٥] به المزارع ، فهو أجود دمال[٦] .

ويُقال لما يُوعى فيه العسل أيضا « زق »[٧] ، وجمعه « زقاق ».

وإذا خلص العسل من شمعه وجثه[٨] فهو ماذى[٩] ، والجَثّ (١٨)

---

(١) فى الأصل : « حاض » .

(٢) الذَّوب العسل ، أو ما فى أبيات النحل ، أوما خلص من شمعه . « القاموس »

(٣) ليس فى كتب اللغة ما يفيد هذا المعنى للفظ «شَيْل» ، وإنما فى (الصحاح للجوهرى) : «الشَّول الماء القليل فى أسفل القربة» . انظر أيضاً : «لسان العرب» .

(٤) فى الأصل — هنا وفيما يلى — : «ترعى» . والصحيح ما ذكرناه .

(٥) فى الأصل « فزيل » .

(٦) فى الأصل : « مال » ، والدمال التمر العفن الأسود القديم ، وما وطئته الدواب من البعر والتراب ، ودَمَل الأرض دَمْلا ودملانا أصلحها ، فالدمال عامة السماد ، انظر « القاموس » .

(٧) الزِّقّ السقاء ، وجمع القلة «أزقاق» ، والكثير «زِقاق» و« زُقّان » ويجمع أيضاً على « أزُقّ » . انظر (الصحاح ولسان العرب) .

(٨) الجَثّ خَرشاء العسل ، وهو ما كان عليها من فراخها أو أجنحتها ، وجثّ المشتار إذا أخذ العسل بجثه ومحارينه ، وهو ما مات من النحل فى العسل ؛ ويقال الجث الشمع ، ويقال أيضاً هو كل قذى خالط العسل من أجنحة النحل وأبدانها . « لسان العرب » .

(٩) الماذىّ : العسل الأبيض ، أو الجديد ، أو خالصه ، أو جيده . « محيط المحيط » .

كل قذى يخالطه من أجنحة النحل وأبدانها وفراخها وموتاها وغير ذلك ، وماذى العسل ناصحه ، ونصوحه خلوصه ، والنصيحة مأخوذة منه ، ويُقال الجَثّ خرشاء العسل ، أى شمعـه ، وما فيه من ميّت النحل . والبغض (كذا) خرؤها .

وإذا كانت وَقْبَةُ النحل فى الجبـل ، وأمكنهم الارتقاء إليها ارتقوا فاشتاروا ما فيها ، وإن لم يمكنهم الارتقاء — وذلك أن النحل تهرب بمـا [تأتى به](١) فتجعله فى أمنع ما تقدر عليه من وقاب الجبال — فإذا كانت الوقبـة كذلك تدلوا عليها بالحبال الطوال ، وربما وصلت الحبال ، وكثيراً ما تنقطع فيعطب المتدلى ؛ وإذا تدلى المشتار ، وقد لبس صدار أَدَم وأخذ معه حاقته — وهى وِعاء من أدم كالخريطة واسعة الأسفل — يجعل فيها آلته ، وصفنه ، والصفن(٢) شىء مثل السفرة ربما جعل فيها العسل ، وربمـا استقى به الماء ، ومعه مِسَابُه(٣) — وهى سقاء العسـل — ، وربما كانت قربة ، ومعه أخرامه (كذا) ، وهى قضبان يُنزع بها الشهد ، كل ذلك [يُسمى] مشاور ، الواحد منها « مشوار » ، لأنه يُشتار به ؛ وهى أيضاً « المحايض » ، واحدها « محيض » . فإذا استقر فى مباءة النحل حَلّ الحبال ، وقدح بزنده ، وآم على النحل ، ثم استشار ، وأوعى فى مسايبه ، وقربته ، وصفنه ، ورقاها بالحبال إلى أصحابه ، أو هبط بها إن كان ارتقى على

---

(١) فى الأصل : « ناترى » وقد أبدلناه بمـا بين الحاصرتين ليستقيم المعنى .
(٢) الصُفْن : خريطة لطعام الراعى وزناده وأداته « القاموس » .
(٣) فى الأصل : «مِسَأبة» ، وفى «القاموس» : السَّأبُ الزقّ ، أو العظيم منه ، أو وعاء من أدَم يوضع فيه الزقّ ، وجمعه سُؤُبٌ ، والمِسأبُ سِقاء العسل .

رجليه . وإن كان العسل كثيراً ملأ منه الأسقية الكثيرة .

وإذا كانت الخلية هكذا فهى عاسلة ، والجِبْح[1] عاسل — أى كثير العسل — ؛ ويقال للذى يشتار (١٩) العسل — أيضاً — عاسل ؛ وكل موضع عَسَلٍ من وقبة أو خليَّة فهو مَعْسَلٌ ؛ وإذا كانت الشهدة رقيقة خفيفة العسل فهو هِنٌّ (كذا) ، وإذا كانت نخاريبها فارغة فهى مجرية (كذا) ؛ ويقال للثقب المهيَّأة من الشمع التى تمج العسل فيها النخاريب — واحدها نخروب — .

ومن لطف حسن النحل أعجوبة[2] قد تحيَّر فيها قدماء العلماء ، وذلك أنه إذا أزمع شتاءٌ[3] شاتٍ بالكون ، أو مطر ، من غير أن يرى الناس لذلك أمارة ، ترى النحل قبل كَوْنِ ذلك ساكنةً فى داخل الخلية ، فيعلم قُوَّامُها — بطول التجارب — أَنْ قد اقترب شتاءٌ ، وبَرْدٌ ، ومَطَرٌ ؛ وكانت العرب تعلم أن برداً قد اقترب وقوعه ، أو جراداً[4] قد دنا مجيئه[5] بما يرون من حال النحلِ ، وذلك أنهم يرونْها قبل أن يكون ذلك ، فاترة فى العمل ، كأنها قد اعتراها كسل وانكسار ، فعند ذلك يترقبون أَنْ سيكون برد أو جراد ، فيكون كذلك ، والبَرْدُ والجراد مضران بالنحل ، وأضرُّهما الجراد لأنه يلحس الأرض فتهلك النحل .

وكفى عجباً بما تراه من أنك إذا فتحت وعاء العسل فى بيت ضَيِّق ،

---

(١) فى الأصل : « الجنح » . (٢) فى الأصل : « عجوبة » .
(٣) فى الأصل : « شتاشاتى » . (٤) فى الأصل : « جراد » .
(٥) فى الأصل : « دنى » .

وعلى بُعْد منك خلايا نحـل ، فما تشعر بأول من هجوم النحل عليك ، وفى البيت بيوت أُخَر بها أُناس لم يشعروا بفتح ذلك الوعاء . وكذلك الخلية إذا حُوِّلت من أرض إلى أخرى لم تعرفها نحل تلك الخلية قط ، فإذا نُصبت فى تلك الأرض الغريبة ، ثم فُتحت وذهب النحل منها فى تلك الأرض المجهولة (٢٠) من كل وجه ، فإنها تؤوب إلى خليتها بعينها ، لا تخطئها ، ولا تضلّ عنها ، وربما حُملت الخلايا فى بعض البلدان — إذا أجدبت المراعى — إلى بلدان أُخَر — لتتابعه (؟) لطلب المرعى ، ثم تطلق عنها فتسرح فى تلك البلاد ، وتعمل أعمالها من غير تدريب ولا تدزيج كما كانت تعملها من قبل ، ثم لا تغلط نحلة فتدخل فى خلية غير خليتها ، والخلايا متلاصقة أو مجاورة ، وفى كل هذا عِبرٌ وأعجوبة .

ومن الدَّبْر جنس أسود شديد السواد ، عريضٌ قصيرٌ كأنه فى الخلقة صغار الجعلان ، ولها حُمَاتٌ مؤذية ، تعسل عسلا قليلا فى نخاريب تبتنيها من الطين أشباه البلوط ، تلصقها بالصخر ، وتعسل فيها عسلا صلباً جدا ، ثم تختمها أيضا بالطين ، فتجدها الرعاة[1] والحطابون كذلك ، فربما وجدوا منها العشرين والثلاثين فى مكان واحد — لاصقا بعضها ببعض — فيستخرجون العسل الذى فيها فيأكلونه ، وذلك نذرٌ قليل .

ومن الدَّبْر جنس آخر أصفر صغير مخطط ، أو غر أملس ، أدقّ من النحل وأخف ، مؤذى اللسع ، وإذا لسع لم تنصل حُمَته ، يزعمون أنه يعسل عسلا قليلا ؛ والبلاد الباردة أوفق للنحل ؛ والنجود أوفق لها من الأغوار .

---

(١) فى الأصل : « الرعا » .

وجرت العادة بأرض مصر أن فراخ النحل تجمع من شهر أمشير، وتبتدئ بجناه فى برمودة[١]، وأجود مراعيه القرط[٢] والجلبان[٣]، وتُسقى أمهاته العسل عند اشتداد البرد، وحدوث الهواء[٤] الشديد؛ ومقدار ما تُسقى المائة خلية عشرة أرطال [بالمصرى][٥]، والذى يتحصل من المائة خلية فى كل سنة ما بين (٢١) ستة قناطير إلى خمسة قناطير، وعشرون رطلا من الشمع، ويموت فى السنة على الأكثر عشرون خلية[٦].

(١) ذكر المقريزى فى الخطط، ج ٢، ص ٣٥ — ٣٨ أنه فى الخامس عشر من أمشير «يفرخ النحل»، وفى شهر برمودة «يقطف أوائل عسل النحل»، وفى بشنس «يقطف عسل النحل»، وفى أبيب «يقطف بقايا عسل النحل»؛ أنظر أيضاً: ابن مماتى، قوانين الدواوين، طبعة الدكتور عزيز سوريال عطية، ص ٢٤٩، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٥؛ وقد وردت هذه الجملة فى المرجع السابق هكذا: «ويبتدىء الحياة فى برمودة» وهى قراءة خاطئة من الدكتور عطية للنص، والصحيح ماذكرناه هنا وهو يتفق تماماً مع ما ورد فى نفس المرجع طبعة الوطن، ص ٢٠. كذلك ورد فى نفس المرجع، طبعة الدكتور عطية، ص ٢٣٧، أنه كان يقام فى مصر عيد للنحل فى الخامس عشر من شهر بابه.

(٢) القرط نبات تعلفه الدواب وهو شبيه بالرَّطْبة، وهو أجل منها وأعظم ورقا، وله فى اللغات الأجنبية أسماء كثيرة، فهو باللاتينية Trifolium alexandrinum، وبالفرنسية Trèfle Alexandrin وبالانجليزية Bersin clover. أنظر (لسان العرب ومعجم النبات للدكتور عيسى، ص ٩، ٦١، ١١٦، ١٨٢، ١٨٣).

(٣) الجُلبان أو الجُلُبّان نوع من القطانى ويسمى الخُلَّر، وهو حب يشبه الماش إلا أنه أشد كدرة منه وأعظم جرما، وله فى اللاتينية أسماء كثيرة منها: hirsutus marmorotus ; ochrus ; sativum، وهو بالفرنسية: Gesse cultivée ; Gesse Lentille d' Espagne وبالانجليزية: Chilkling — vetch. ; Bitter — vetch أنظر: (لسان العرب، وأدب الكاتب لابن قتيبة، ص ١٠٢ ومعجم النبات، ص ١٠٥)

(٤) فى الأصل «الهوى»

(٥) الزيادة عن قوانين الدواوين لابن مماتى.

(٦) ذكر هذه الفقرة عن النحل فى مصر ابن مماتى فى كتابه قوانين الدواوين (انظر طبعة الوطن ص ٢٠، وطبعة الدكتور عطية ص ٣٥٣) عند كلامه عن موارد المعاملات =

فصـــل

العســل يؤنث ويذكر ، ويُصغر «عُسَيْلة» ، ويجمع على عُسول ، وأعْسال ، وعُسْلان ، [وعُسُل] ، وعُسْل[1] إذا أردت ضرْباً منه .

ويُسمى العسل الأَرْى[2] ، وأصل الأرْى العمل ، يقال أرَتْ النحل أَرْيًا إذا عملت العسل ، وبَنت الشهد ؛ ويقال للعسل لعاب النحل ، ويقال له الشَّوْب ، والسَّلْوَى[3] ، والذَوْب[4] ، وقيل لا يسمى العسل ذَوْباً إلا إذا أزيل الشمع وجرى ، فحينئذ هو ذَوْب ، وكل جار ذائب ، ويقال للعسل النَسيل، والنَسيلة ،والذواب (؟) ، والطِرْم[5] ؛ ويسمى جَنى النحل ، وريق

= السلطانية والجهات الديوانية ، على اعتبار أن النحل كان أحد هذه الموارد ، هذا وقد ورد فى بعض كتب الحيوان أن أهل مصر كانوا « يحولون الخلايا فى السفن ويسافرون بها إلى مواضـع الزهر والشجر ، فإذا اجتمع فى المرعى فتحت أبواب الخلايا ، فيخرج النحل منها ، ويرعى يومه أجمع فإذا أمسى عاد إلى السفينة ، وأخذت كل نحلة منها مكانها من الخلية لا تتغير عنه » انظر : (الدميرى ، ج ٢ ، ص ٢٩٩ ؛ وكتاب « فى الحيوان » ص ١١٥) .

(١) فى الأصل : « ويجمع على عسولا وأعسالا وعسلاناً وعسلا » دون ضبط ، وقد صحح بعد مراجعة « القاموس » .

(٢) ذكر أبو هلال العسكرى فى « المعجم فى بقية الأشياء » ، ص ٥٠ — ٥١ أن الأرى ما يبقى فى القدر ملتزقا بأسفلها ، وبه سمى العسل أريا لالتزاقه .

(٣) السلوانة — بضم السين المضعفة وسكون اللام — والسلوى العسل . « القاموس » ، انظر أيضاً : (الربعى ، نظام الغريب ، ص ٦٠) .

(٤) الذوب العسل عامة وقيل هو ما فى أبيات النحل خاصة ، وقيل هو العسل الذى خلص من شمعه وومه ، وذاب إذا قام على أكل الذوب وهو العسل . « اللسان » .

(٥) الطِرم — بكسر الطاء وفتحها وسكون الراء — الشهد والزبد والعسل إذا امتلأت منه البيوت .

النحل ، ومجاج النحل[١] .

والعسل مختلف الألوان ، والطعوم ، والروائح ، والمتانة ، والرقة ، والصفاء ، والكدر ، وكثرة الحلاوة وقلتها ، وكل ذلك على قدر النبات الذى يجرسه النحل ،فعسل النّدْغ[٢] والسحاء أبيض ناصع البياض كأنه زُبْد الضأن فى البيان ، وهما [أى الندغ والسحاء] شجرتان بيضاوا[٣] الزهر[٤] ، والندغ صَعْتَر البر، والسحاء أيضا صعتر البر ، وقيل السحاء شوك قصار كثير الزهر، كثير العسل ، لا يرعاه إلا النحل فقط ، وأكثرمنابته تِهامة ؛ وقدروى الأصمعى[٥] أن سليمان بن عبد الملك بن مروان[٦] حج ، فأتى الطائف ،

---

(١) ومن أسماء العسل أيضاً : « المأذى ، والجَلْس ، والضرَب » ، انظر : (نظام الغريب ؛ ص ٦) .

(٢) فى الأصل : « البذع » ، وصحته : « الندغ » بفتح النون أوكسرها وسكون الدال أو فتحها — ، وقد عرفه صاحب اللسان بقوله : هو الصعتر البرى ، وهو مما ترعاه النحل ، وتعسل عليه ، وعسله أطيب العسل ، ولعسله جلوتان : جلوة الصيف وهى التى تكون فى الربيع ، وهى أكثر الشيارين ، وجلوة الصفرية وهى دونها » والسحاء نبات يشبه الندغ وكلاهما من مراعى النحل ، وعسلهما أمتن العسل وأشده لزوجة وحرارة ؛ وقيل الندغ شجر أخضر له ثمر أبيض ، واحدته ندغة ، وهو مما ينبت فى الجبال ، وورقه مثل ورق الحوك ، ولا يرعاه شىء إلا النحل ، وله زهر صغير شديد البياض ، وهو ذفر كريه الرائحة . والندغ يسمى باللاتينية : S. hortensis ، وبالفرنسية Sarriette ، وبالانجليزية : Summer Savory ، (انظر : معجم النبات ، ص ١٦٣) .

(٣) فى الأصل : « بيضاوتا »

(٤) كلمة « الزهر » مكررة فى الأصل .

(٥) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب ، عالم لغوى مشهور ، ولد فى البصرة عام ١٢٢ (٧٤٠ م) وتوفى فى سنة ٢١٣ (٨٢٧) ، تلقى علومه فى البصرة ، ثم اتصل ببلاط الرشيد ، وله مؤلفات لغوية كثيرة ضمنها الشعر الكثير .

(٦) هو سابع خلفاء بنى أمية ، ولد سنة ستين ، وولى الخلافة فى جمادى الآخرة سنة ٩٦ ومات فى صفر سنة ٩٩ : انظر ترجمته بإيجاز فى : (تاريخ الخلفاء للسيوطى ، ص : ١٥٠ — ١٥٢) .

فوجد ريح النَّدْغ ، فكتب إلَى[1] والى الطائف : "انظر لى عسلا من عسل النَّدغ والسحاء ، أخضر فى[2] السقاء (٢٢) أبيض فى الإناء ، من حِدَاب بنى شبابة[3]" ، — وواحد الحِدَاب حَدَبة — وهى جبال من السراة ، ينزلها بنو شبابة[4] من فهم بن مالك بن الأزد ، وليسوا من عَدْوَان[5] ، وحِدَاب بنى شبابة أكثر أرض العرب عسلا وعنبا ، وتينا ورُبًّا[6] .

واليمن كلها أرض عسل ؛ ويقال إن عسل النَّدْغ إذا كان فى السقاء ، فنظرت إليه رأيته كأنه اللبن المُذَرَّح[7] ، فإذا أخرجت منه شيئا فجعلته فى إناء رأيته أبيض ، وكذلك جميع العسل إذا كان كثيراً فى وعاء عظيم رأيته أخضر ، فإذا أخرجت منه شيئا تبيَّنَ لونه إن كان أحمر ، أو أصفر ، أو غيره — والمذرّح الذى كثر عليه الماء — فإذا كثر عليه الماء اخضرّ .

وأصفى عسل العرب عسل الشَّيْعة[8] ، وهى شجرة لها نور ذكى ؛

---

(١) فى الأصل « إلىّ »

(٢) فى الأصل : « من »

(٣) نقل صاحب اللسان هذا القول ، ونسبه إلى الحجاج لا إلى سليمان .

(٤) قال صاحب « اللسان » : عسل شبابى ينسب إلى بنى شبابة قوم بالطائف من فهم ابن مالك بن كنانة ينزلون اليمن .

(٥) تنسب هذه القبيلة إلى عدوان بن عمرو بن قيس عيلان .

(٦) الربة نبات وشجرة ، أوهى الخروب . « القاموس » وفى اللسان أن الربة نبتة صيفية ، وقيل هو كل ما اخضر فى القيظ من جميع ضروب النبات ، وقيل إنها شجرة الخرنوب .

(٧) لبن أو عسل مذرح أى غلب عليهما الماء . « القاموس » .

(٨) فى الأصل : « الشبعة » ، والشيعة شجرة لها نور أصغر من الياسمين أحمر طيب تعبق به الثياب ، أى تعطر . انظر : « اللسان » .

وعسل الضَّرْم[١] لونه كلون الماء ، وهو أجود عسلهم ، والضَّرْم أبيض اللون ، ونباته شبيه بنبات النَّدْغ .

ومن عسل العرب المَذَخ[٢] ، ونحله[٣] تجرس رُمّان البر الذى يقال له «المَظّ»[٤] وإن جُلناره كثير العسل؛ والعسل الصعترى معروف وهو أشد[٥] العسل حروقة[٦] ، وأرقه ؛ وكذلك العسل اللوزى معروف ، وليس من عسل أرض العرب ، وهو من أشد العسل اعتدالا ، وفيه رائحة نور اللوز ، وأكثر ما كان يؤتى به من بلاد الجزيرة ؛ وكل نبات كثر ببلاد فيها نحل ، فإن الغالب على عسلها عسل ذلك الشجر ، وإذا اختلف نباتها لم يغلب على عسلها نبت بعينه ؛ وقد يصير العسل مراً إذا جرست نحله النوار المر ، كعسل الإفْسَنْتِين[٧] ،

---

(١) الضرم شجر طيب الريح ، ودخانه طيب ، أو هو شجر أغبر الورق ، وورقه شبيه بورق الشيح ، وله ثمر أشباه البلوط حُمْر إلى السواد ، وله ورد أبيض صغير كثير العسل ، أو هو « الأسطوخودوس » باليونانية ، وهو باللاتينية : Stoechas وبالفرنسية: Lavande stoechas ؛ Luireillet ؛ Stoechas arabique ،وبالإنجليزية Lavender; Stoechas ؛ أنظر: (القاموس، ولسان العرب ، ومعجم النبات ،ص ١٠٦).

(٢) فى الأصل : « المدخ » ، وقد صحح بعد مراجعة « القاموس » ، حيث ورد أن « المذخ عسل فى جلنار المظ يتمذخه الناس أى يتمصصونه » .

(٣) فى الأصل : « ونحلة »

(٤) فى الأصل : « الحط » وهو خطأ ؛ والمظ هو رمان البر أو شجره ، وهو ينور ولا يَعقِد ، وتأكله النحل فيجود عسلها عليه ، ومنابته الجبال ولا يُربّى ، ويسمى نوره الجلنار (Balauste) ، وهو باللاتينية : Punica garanatum ؛ وبالفرنسية Balaustier ; Grenadier ؛ وبالإنجليزية : Pomegranate ، انظر: (اللسان ؛ ومعجم النبات ، ص : ١٥١) .

(٥) فى الأصل : « أسد »

(٦) فى الأصل : « حروقة »

(٧) ذكر صاحب «محيط المحيط» أن الافسنتين لفظ يونانى ، وهو نبات كبير =

— وليس من نبات بلاد العرب — ، وفى (٢٣) عسله مرارة ؛ وعسل السِّدر قليل الحلاوة ، قليل المتانة .

ومن كل الشجر تجرس النحل ، إلا أن تكون شجرة خبيثة الرائحة زهمة ، أو ذات سم ، فإنها لا تقرب من ذلك شيئاً .

وأجود العسل عند العلماء ما طاب ريحه ، وعذب طعمه ، وصدقت حلاوته ، ومَتُنَ حتى إذا مددته امتد ، وخِلْتَه لون الذهب ، فإذا قُطِر على الأرض استدار واجتمع إلى نفسه ؛ فإذا وُعِى العسل فى الجرار علا أرَقُّه ، وسَفُل أمتنه وأجوده ، وأمّا ما اسودَّ من العسل فإنه ردىءٌ — ما لم يكن سواده من تقادم — فإن العسل إذا تقادم مال إلى السواد ، ونقصت حلاوته.

وإذا كان العسل متيناً صلباً فهو ضَرَبٌ [١] ، وكذلك الشهد ، يقال : « استضرب العسل إذا صلب واشتد » ، وقد يبلغ من شدة العسل فى بعض البلاد أن ينكسر الشهد كسراً ، والعسل المتقادم الشديد كله يستضرب ؛ ويقال للعسل المتين « حَمِيتٌ » [٢] ، ويقال للعسل الشديد « جَلْسٌ » [٣] ، ويقال لما رَقّ من العسل « وَدِيس » [٤] .

= النفع ، ورقه كورق الصعتر مر الطعم ، وهو باللاتينية A. Absinthium ; وبالفرنسية : Absinthe; وبالانجليزية : Wormwood; Absinth انظر : (معجم النبات ، ص ٢٢) .

(١) الضرب العسل الأبيض الغليظ ، واستضرب العسل غلظ وأبيض ، والضريب الشهد ، وعسل ضريب مستضرب . انظر : « اللسان »

(٢) الحميت المتين من كل شيء . « القاموس »

(٣) الجلس الغليظ من الأرض ومن العسل ومن الشجر ، ... أوهو بقية العسل فى الإناء « القاموس » ، انظر أيضاً : (نظام الغريب ، ص ٦٠ . والمعجم فى بقية الأشياء ، ص ٦٩) .

(٤) جاء فى « اللسان » : « الوديس الرقيق من العسل »

فصـــــل

ذكر القدماء من الحكماء أن العسل طَلٌّ خفيٌّ يقع على الزهر، وعلى غيره، فيلقطه النحل؛ وذكروا[١] أن هذا الطلّ بخارٌ يتصاعد فيستحيل فى تصاعده، وينضج فى الجوّ[٢] فيستحيل أيضا، ويغلظ فى الليل فيقع عسلا، إلا أنه يختلف فى وقوعه إلى الأرض، فمنه ما يقع عسلا — كما هو فى بعض الجبال — ومنه ما يقع على الأشجار والحجارة؛ وهذا القسم يختلف بحسب ما يقع عليه، فما ظهر منه لقطه الناس، (٢٤) وما خفى منه تلتقطه النحل، وتتصرف النحل فيما تلقطه منه تأثير (كذا)، فإنه يلقطه ليغتذى، وليدخره (كذا).

وذكر أرسطو أن هذا [العسل][٣] من الفضول الحلوة والرطوبات، يرشح بها الزهر والورق، فيجتمع ذلك كله، وتدخره، وهو العسل؛ ويجتمع مع ذلك رطوبات دسمة تُتخذ منها بيوت العسل، وهذه الدسومات هى الشمع، وهى تلقطها بخراطيمها، وتحملها على فخذيها، وتنقلها من فخذيها إلى صلبها. وقال الكواشى[٤] فى تفسيره: «إن العسل ينزل من السماء فيثبت[٥]

---

(١) فى الأصل: «وذكر». (٢) فى الأصل «الجود» (٣) فى الأصل: «النحل».

(٤) هو موفق الدين أحمد بن يوسف الموصلى الشيبانى الشافعى، توفى بالموصل سنة ٦٨٠، وذكر صاحب كشف الظنون أن له تفسيرين: كبير سماه «التبصرة» وصغير سماه «التلخيص»؛ والعنوان الكامل للأول هو «تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر»، ويوجد منه الجزء الأول (وينتهى بالكلام على سورة البقرة) مخطوط رقم ١٣٠٠ ب فى مكتبة البلدية باسكندرية (بدون تاريخ)؛ وفى نفس المكتبة نسختان مخطوطتان من الكتاب الثانى، وهو «التلخيص»، الأولى فى مجلد واحد كتب بقلم فارسى سنة ٧٣٨، ورقمها ١٢٤١ ب، والثانية بقلم عادى سنة ٧٠٧، ورقمها ١٧٤٠ ب. (٥) فى الأصل «فينبت».

فى أماكن ، فتأتى النحل فتشربه ، ثم تأتى الخلية فتلقيه فى الشمع المهيأ للعسل — فى الخليّة — لا كما يتوهم بعض الناس أن العسل من فضلات الغذاء ، وأنه قد استحال فى المعدة عسلا » .

ومن العسل جنس سُمِّىٌّ ، مَنْ شَمَّه ذهب عقله ، فكيف مَنْ أكله[1] ؟!

وأجود العسل الصادق الحلاوة ، الطيب الرائحة ، مع ميل إلى الحرافة ، والحمرة ، والمتانة ، وأن يكون لَزِجاً لا يتقطع ، وأن يُجنى فى الربيع ، وأردؤه ما قُطف فى الشتاء ؛ وطبع عسل النحل حارٌّ يابس فى الثانية ، فيه قوةٌ جالبةٌ ، مفتحةٌ لأفواه العروق ، لجلبه الرطوبات من قعر البدن ، وهو يمنع العفونة والفساد من اللحم ، وإذا لُطِّخَ به البدن منع القمل والصئبان وقتلها ، وإذا أُضيف إليه القُسْطُ[2] ، ولُطِّخ على الكَلَف أزاله ، وإذا عمل فيه مِلْحٌ ودُهِن على آثار الضربة التى لونها كلون الباذنجان أزالها ، وهو ينقى القروح الوَسِخَة ؛ وإذا لُطِّخ مع الشَّبَت[3] أبرأ القوابى ، وإذا (٢٥) خُلط بالملح

---

(١) ذكر العمرى — فى مسالك الأبصار ، ج١٢ — هذا النوع من العسل مع اختلاف فى اللفظ ، قال : « ومن العسل صنف حرّيف ، وهو سم قاتل ، سمه يذهب العقل ، فكيف أكله ؟! » .

(٢) القُسْط عُودٌ هندى وعربى يُجعل فى البخور والدواء ، وهو مُدر نافع للكبد جداً ؛ والمغص ، والدود ، وحمى الرِّبع شرباً ؛ وللزكام والنزلات والوباء بخوراً ؛ وللبهق والكلف طِلاء » « القاموس » ، انظر أيضاً : (الدميرى ، ج ٢ ، ص ٣٠٤ ، ولسان العرب) ؛ وقد ذكر صاحب معجم النبات أنه يسمى باللاتينية : CostusArabicus ; وبالفرنسية Costus Arabique ; وبالانجليزية: Arabian Costus; Kust—root.

(٣) فى الأصل : « الشب » ، وقد وردت أمام هذا اللفظ فى الهامش الجملة =

الذّرْآنى[١] ، وقُطّر [فاترا][٢] فى الأذن نقّاها ، وجفّف قروحها ، [وسَكّن دويها][٣] ؛ والاكتحال به يجلو[٤] ظلمة البصر ؛ والتحنك والغرغرة به يبرئ الخوانيق[٥] واللوزتين ؛ والعسل يقوى المعدة ، ويُشهّى الطعام ، ويلين البطن إن وجد حركة وقلة استعداد من الغذاء للنفوذ ، فإن تمكن من تنفيذ الغذاء عقل .

وإن شرب [العسل] مسخنا بدهن ورد نفَع من نهش الهوام . وَمَنْ شرب الأفيون[٦] ولعقه يُعالج به عضة الكلب .

[والعسلَ] يحفظ الميت إذا وُضع فيه دائماً ، ويحفظ اللحم ثلاثة أشهر

= الآتية : « وهذا تصويب عبد الرحمن الجبرتى ، ونسخة الأصل فيها «مع الشبت» ، فجربه على النسختين ترى الصواب » . وهذه الجملة تفيد اطلاع المؤرخ المصرى المعروف عبد الرحمن الجبرتى على هذا الكتاب ، كما أنها توحى بفرض من اثنين : إما أن يكون كاتب هذه النسخة (وهو معاصر للجبرتى) قد نقلها عن نسخة بخط الجبرتى ، وإما أن يكون قد نقلها عن نسخة قديمة اطلع عليها الجبرتى وقيد عليها بعض تصحيحاته .

(١) فى الأصل : « الأندرانى » ، وملح ذرآنى — بفتح الراء وتسكينها — شديد البياض ، وهو مأخوذ من الذرأة أى البياض ؛ انظر : « اللسان » .

(٢) الزيادة عن كتاب « فى الحيوان » ، ص ١١٥ .

(٣) فى الأصل : « وقوى ؟ » ، وقد أبدلت بهذه الجملة اقتباسا من المرجع السابق ، وبها يستقيم المعنى .

(٤) فى الأصل : « يجلوا » بزيادة الألف .

(٥) الخناق أن يحدث فى المبلع ضيق يقال له خوانيق ، انظر :(الخوارزمى ، مفاتيح العلوم ، ص ٩٨) .

(٦) الأفيون نبات معروف ، وهو الخشخاش ، ويشتهر عند العامة باسم « أبو النوم » ويسمى باللاتينية : P. Somniferum ؛ وبالفرنسية : Pavot; Pavot somnifére ؛ وبالانجليزية : Poppy; Opium—poppy. ؛ انظر : (معجم النبات، ص ١٣٤)

والفاكهة ستة أشهر ، إذا وُضعا فيه[1] . — انتهى — .

فصـــــل

وكفى للنحل شرفا تنويه الله تعالى بذكرها فى محكم كتابه العزيز ، حيث قال : "وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِى مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً ، وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ . ثُمَّ كُلِى مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"[2] ، «وأوحى»[3] معناه ألهم ، أى خلق — سبحانه وتعالى — فى أنفس النحل — ابتداءً من غير سبب ظاهر — قوةً بها تدرك منافعها، وتجتنب مضارها ، وتحسن تدبير معاشها، لم يَدرِ مخلوق ماتلك القوة — وَإن شارك النحلَ فيها كثيرٌ من الحيوان — فإن لها عليهم مزية اختصاص بأنه تعالى عبّر عن إلهامها بالوحى تشريفا لها ، بخلاف (٢٦) غيرها فإنه تعالى قال: "وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا"[4] ، وقال : "رَبُّنَا الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى"[5] . فدخلت النحلة فى هذا العموم ، وامتازت بأن صارت مما أوحى الله سبحانه وتعالى إليها ، وأثنى عليها ، فعلمت مساقط الأنوار من وراء البيداء ، فتقع هناك بروضة عبقة ، وزهرة أنقة ، ثم يصدر عنها ما تحفظه رضابا وتلفظه شرابا .

---

(١) ذكرت هذه الفوائد والخواص الطبية للعسل فى : (الدميرى ، ج ٢ ، ص ٣٠٤ ، وكتاب « فى الحيوان » ، ص ١١٥ و١١٦) مع اختلاف يسير فى اللفظ .

(٢) السورة ١٦ ، الآية ٦٨ .

(٣) يقال وحى وأوحى بمعنى ألهم .

(٤) السورة ٩١ ، الآية ٧ .

(٥) السورة ٢٠ ، الآية ٥٠

وقال الزجاج[١] : "سميت نحلا لأن الله تعالى نَحَل الناسَ العسلَ الذى يخرج منها ، إذ النِّحلة العطيّة[٢]" .

وذُكر فى كتاب « عجائب المخلوقات » : "إن يوم عيد الفطر يُقال له يوم الرحمة [لأن الله تعالى يرحم فيه عباده ، وفيه أوحى الله تعالى إلى النحل صنعة العسل]"[٣] .

وقد جعل الله تعالى بيوت النحل ثلاثة أنواع :

إما فى الجبال ولواها ، و إما فى الخشب المنحوت من الشجر ، أو المجوف منها ، و إما فيما يعرش الإنسان أى يهيىء من الخلايا ونحوها ، لقوله تعالى : "وَأَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أنِ اتَّخِذِى . . ." الآية ، فقرأ ابن عامر : « يعرُشون » — بضم الراء — ، وقرأ الباقون — بكسرها — إلا عاصما ، فإنه اختلف عنهم[٤] ، فروى الوجهين[٥] جميعاً ؛ وأصل العَرْش السرير المتخذ للملك ، ثم استعير لغيره فأطلق العرش على البيت ، وجمعه عُروش ؛ وعَرْشُ البيت سقفه ؛ والعَرْشُ الخيمة ، والجمع أَعْراش ، وعُروش ؛ وعَرَشَ العَرْشَ يَعْرِشُه ويَعْرُشُه — بكسر الراء وضمها — عَرْشاً عمله ؛ وعَرْشُ الرجل

---

(١) هو إبراهيم بن السرى بن سهل أبو إسحاق الزجاج ، كان يخرط الزجاج ، ثم مال إلى النحو فلزم المبرد حتى نبغ ، وعن طريقه أصبح مؤدبا للقاسم بن عبيد الله بن سليمان ، فلما ولى القاسم الوزارة قرب الزجاج إليه فأقبلت عليه الدنيا ، وأصاب ثروة طائلة ، له مؤلفات كثيرة ومات فى سنة ٣١١هـ ؛ انظر : (بغية الوعاة ، ص ١٨٠ — ١٨١) .

(٢) هذه الجملة تفسر العنوان الذى اختاره المقريزى لهذا الكتاب .

(٣) ذكر فى الأصل بعد لفظ « الرحمة » : « إذ فيه أوحى ربك إلى النحل صنعه » ، وقد عُدلت إلى الصيغة المثبتة هنا بين الحاصرتين بعد مراجعة : (القزوينى ، عجائب المخلوقات ، ص ٦٨) .

(٤) فى الأصل « عنه » . (٥) فى الأصل « الوجهان » .

قِوام أمره ؛ وثُلَّ عرشُه هُدِم ما هو عليه من قوام أمره ؛ والعَرْش المنزل ، وجمعه عُرُش ؛ والعَرْش والعريش ما يستظل به ، وجمعه عُروش ؛ وعَرَشَ (٢٧) البئر والركيّة يعرشها عَرْشا طواها من أسفلها بالحجارة ، ثم طوى سائرها بالخشب ، وجمعه عروش ؛ وعَرْشُ الكَرْم ما دُعِّم به من الخشب ، يُقال : عَرَشَ الكَرْمَ يَعْرِشه عَرْشاً وعروشاً عمل له عَرْشا . فلا يوجد للنحل فى غير هذه الثلاثة [بيوتٌ] ، وأكثر بيوتها فى الجبال ، ثم فى الأشجار ، ثم فيما يعرش الناس ، وهى أقل بيوتها .

وأباح تعالى للنحل أكل ما شاءت من الأشجار ، بقوله عزَّ من قائل : "ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً" ، فقوله «من كل الثمرات» المراد «بعضها» كقوله تعالى : "وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ"(١) . يريد به «البعض» ؛ والسبل الطرق ، واحدها سبيل ؛ وأضافها سبحانه إليه ، لأنه الذى خلقها ؛ وقد أذن للنحل فى سلوكها [أى أن](٢) تدخل طرق ربها لطلب الرزق فى الجبال ، وخلال الشجر ؛ وذلَّل لها الطرق أى سهلها ، تقول : «سبيل مذلل» أى سهل سلوكه ، وقد يكون ذللا حالا من النحل ، أى تنقاد ، وتذهب حيث شاء صاحبها ، وذلك أنها تتبع أصحابها حيث ذهبوا ، وتقف موقف يعسوبها ، وتسير بمسيره . و «ذُلُلا» ، جمع ذَلول(٣) ، وهو المنقاد أى المطيع . ثم عَدَّدَ تعالى على خلقه ما أنعم به عليهم

---

(١) السورة ٢٧ ، الآية ٢٣ .

(٢) فى الأصل : «التى» وقد آثرنا استعمال هذين اللفظين ليستقيم المعنى .

(٣) فى الأصل : «ذلولا»

من العسل الذى يخرج من النحل ، فإن فى خروجه منها عبرة ، فقال سبحانه : "يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ" يعنى العسل ، فإنه من أفواه النحل ، لدلالة القرآن على أنها ترعى[١] الزهر ، فيستحيل فى أجوافها عسلا ، ، ثم تلقيه من أفواهها فيجتمع منه[٢] القناطير[٣] المقنطرة .

روى عن على (٢٨) بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال — وقد حَقَّر الدنيا — : "أشرف لباسها لعاب دودة ، وأشرف شرابها رجيع نحلة" . وفى رواية :

"إنما الدنيا ستة أشياء : مطعوم ، ومشروب ، وملبوس ، ومركوب ، ومنكوح ، ومشموم ؛ فأشرف المطعوم العسل ، وهو مذقة ذباب ، وأشرف المشروب الماء ، ويستوى فيه البار والفاجر ؛ وأشرف الملبوس الحرير ، وهو نسج دودة ؛ وأشرف المركوب الفرس ، وعليها تقاتل الرجال ؛ وأشرف المشمومات[٤] المسك ، وهو دم حيوان ؛ وأشرف المنكوحات[٤] فرج المرأة ، وهو مَبَالٌ" . فقال قوم : « هذا يدل على خروج العسل من غير أفواه النحل » ، وقال قوم : « لا ندرى أيخرج من أفواهها أو من أسافلها ، غير أنه لا يتم صلاحه إلا بحمى أنفاسها » .

---

(١) فى الأصل : « ترعا » . (٢) فى الأصل : « فيه » .

(٣) ذكر صاحب اللسان القيم المختلفة للقنطار ، وهو عند الجمهور يساوى مائة وعشرين رطلا ؛ انظر أيضا (مفاتيح العلوم ، ص ١٠٦) .

(٤) يلاحظ أنه لم يلتزم الترتيب الأول عند التفصيل ، كما أنه استعمل لفظى « المشموم » و « المنكوح » فى صيغة المفرد أولا ، وعند التفصيل استعمل صيغة الجمع منهما .

وقد صنع بعض قدماء الفلاسفة بيتاً من زجاج [(١)] ليرى كيف تصنع النحلة العسل ، وتضعه فى بيوته من الشمع ، بعـد ما أدخلها فى البيت ؛ فلطخت النحلة باطن الزجاج بطين حتى لم يرها .

وقال تعالى: "يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا" لأن استحالة الأطعمة لا تكون [(٢)] إلا فى البطن . ثم عدّد تعالى أنواع العسل الذى أنعم به على عباده ، فقال : "مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ" يعنى من الأحمر ، والأبيض ، والجامد ، والسائل ، ليتذكروا قدرته سبحانه على الإيجاد والاختراع ، فإن الأصل واحـد ، وما يكون عنه مختلف بسبب وقوع تنوع غذائه ، كما اختلف أيضاً طعمه بحسب مراعى النحل . ثم وصف تعالى هـذا الخارج من النحل بصفة شريفة ، وهى الشفاء (٢٩) الذى أودعه فيه ، فقال تعالى : "فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ" ، والجمهور على أن الضمير عائد على العسل ، واحتج قوم ممن ذهب إلى ذلك بأن سياق الـكلام للعسل ، و بقوله صلى الله عليه وسلم : « صدق الله وكذب بطن أخيك » ، يريد عليه الصلاة والسلام قوله تعالى : "يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ" [(٣)] ، وهو العسل ؛ وهذا تصريح منه — عليه الصلاة والسلام — بأن الضمير فى قوله تعالى : "فيه شِفَاءٌ لِلنَّاسِ" ، يعود إلى الشراب الذى هو العسل ، وهو الصحيح ، و به

---

(١) مما يوجب الالتفات هنا أن الطريقة التجريبية ، والبيوت الزجاجية التى يستعملها علماء النبات المحدثون ليست شيئا جديداً ، بل هى مما استعمله القدماء .

(٢) فى الأصل : « يكون » .

(٣) السورة ١٦ ، الآية ٦٩ .

قال عبد الله بن مسعود (١) ، وعبد الله بن عباس ، والحسن (٢) ، وقتادة (٣) .
ورُوى عن مجاهد (٤) ، والضحاك (٥) ، والفرّاء (٦) ، وابن كيسان (٧) أن
الضمير عائد على القرآن ، أى : « فى القرآن شفاء للناس » ، وهو ضعيف

---

(١) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلى ، صحابى ومحدث كبير ، ومن السابقين إلى الإسلام ، وهو أول من جهر بقراءة القرآن بمكة ، وكان من ألزم الناس للنبى عليه السلام فى حله وترحاله ، وولى بعد وفاة النبى بيت مال الكوفة ، ثم قدم المدينة فى خلافة عثمان فتوفى فيها عن نحو ستين عاما . انظر « الاصابة ، ج ٢ ، ص ٣٦٨ » .

(٢) الحسن بن أبى الحسن يسار البصرى ، ويكنى بأبى سعيد من سادات التابعين أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصارى ، ولد على الرق لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة ، وتوفى بالبصرة مستهل رجب سنة ١١٠ ، انظر : « الوفيات لابن خلكان »

(٣) قتادة بن دعامة ويكنى أبو الخطاب ، مفسر حافظ محدث ضرير أكمه ، قال عنه الإمام أحمد بن حنبل : « قتادة أحفظ أهل البصرة » ، وكان مع علمه بالحديث عارفا بالعربية ومفردات اللغة ، وأيام العرب والنسب ، مات بواسط سنة ١١٧ (٧٣٥م) . « المعارف ، ص ٢٠٣ — ٢٠٤ م » .

(٤) هو أبو الحجاج مجاهد بن جبر ، محدث جليل ، وكان مولى لقيس بن السائب المخزومى ، مات بمكة وهو ساجد سنة ١٠٣ (٧٢١م) وهو ابن ثلاث وثمانين سنة . « المعارف ، ص ١٩٦ » .

(٥) أبو القاسم الضحاك بن مزاحم من بنى عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة ، رحل إلى خراسان فأقام بها ، ومات سنة ١٠٢ (٧٢٠م) . « المعارف ص ٢٠١ — ٢٠٢ » .

(٦) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن مروان الديلمى ، قيل له الفراء لأنه كان يفرى الكلام ، كان أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائى ، وكان يحب الكلام ويميل إلى الاعتزال ؛ كان أكثر مقامه ببغداد ، فإذا كان آخر السنة أتى الكوفة فأقام بها أربعين يوما يفرق فى أهله ما جمعه ، له مؤلفات كثيرة ، مات بطريق مكة سنة ٢٠٧ هـ (٨٢٢م) عن سبع وستين سنة . « بغية الوعاة ص ٤١١ » .

(٧) محمد بن إبراهيم بن كيسان أبو الحسن النحوى ، كان يحفظ المذهبين البصرى والكوفى فى النحو ، لأنه أخذ عن المبرد وثعلب ، لكنه كان إلى مذهب البصريين أميل ، له مصنفات لغوية كثيرة ؛ اختلف فى سنة وفاته ، فقيل مات فى سنة ٢٩٩ (٩١١ — ٩١٢ م) ، وقيل فى سنة ٣٢٠ (٩٣٢) وهو الأرجح . « بغية الوعاة ، ص ٨ » .

لمخالفته ظاهر القرآن ، وصريح حديث المشتكى بطنه .

وقال النحاس[١] : « أى فيما قصصنا عليكم من الآيات والبراهين شفاء للناس » .

وزعم بعض غلاة الشيعة أن هذه الآية يُراد بها آل البيت رضى الله عنهم ، وأن الشراب القرآن والحكمة ، والنحل المذكور فى الآية هم آل البيت ؛ ورووا حديثاً أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى رضى الله عنه : « أنت يعسوب المؤمنين ، والمال يعسوب الكفار » . وفى رواية : « والمال يعسوب الظلمة » ، وفى رواية : « والمال يعسوب المنافقين » . ومعنى يعسوب المؤمنين أى أنت كبير المؤمنين الذين يلوذون بك ، و إليك ينقادون ؛ والكفار والظَّلَمة (٣٠) والمنافقون إنما يلوذون بالمال كما تلوذ النحل بيعسوبها ، ولذلك قالوا : « أمير النحل على » .

وقد اختلف فى قوله تعالى : « فيه شفاء للناس » هل هو على عمومه ، أم لا ، فذهب قوم إلى أنه عام فى كل حال ، ولكل أحد ؛ فعن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما أنه كان لا يشكو[٢] قرحة ، ولا شيئاً إلا جعل عليه

---

(١) أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادى يعرف بابن النحاس أبو جعفر النحوى المصرى ، رحل إلى بغداد ، وأخذ عن الأخفش الأصغر ، والمبرد ، ونفطويه ، والزجاج ، وعاد إلى مصر ، وسمع بها النسائى وغيره ، وصنف كتبا كثيرة منها : إعراب القرآن ، معانى القرآن ، الكافى فى العربية ، شرح المعلقات ، .. الخ ، وقيل فى سبب موته أنه جلس على درج المقياس بالنيل يقطع شيئاً من الشعر ، فسمعه جاهل فقال هذا يسحر النيل حتى لا يزيد ، فدفعه برجله فغرق ، وكان ذلك فى ذى الحجة سنة ٣٣٨ هـ . « بغية الوعاة ، ص ١٥٧ » .

(٢) فى الأصل : « يشكوا » .

عسلا ، حتى الدمل إذا خرج به طلى عليه عسلا . وعن أبى وجرة عوف ابن مالك[١] بن أبى عوف الأشجعى أنه كان يكتحل بالعسل ، ويداوى به كل سقم . ومَرِضَ عوف بن مالك هـذا فقيل له : « ألا نعالجك ؟ » ، فقال: «ايتونى بماء» فإن الله تعالى يقول : «وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا»[٢] ثم قال : « ايتونى بعسل » ، فإن الله تعالى يقول : « فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ » ، وائتونى بزيت ، فإن الله تعالى يقول : « مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ »[٣] . فجاؤوه بذلك فخلطه ، ثم شربه فبرأ .

وقال أبو[٤] بكر بن أبى شيبة : حدثنا أبو[٤] معاوية عن الأعمش[٥] ، عن خيثمة[٦] ، عن الأسود[٧] ، قال : قال عبد الله (؟) : « عليكم بالشفاءين : القرآن والعسل » .

---

(١) فى الأصل : « ذجرة » ، وعوف بن مالك الأشجعى الغطفانى صحابى جليل ، شهد خيبر وحنين وفتح مكة : وكان من شجعان المسلمين ، نزل حمص ، وسكن دمشق ، وله فى الصحيحين ٦٧ حديثاً ، توفى سنة ٧٣ هـ (٦٩٢ م) . انظر (الأعلام ، ج ٢ ، ص ٧٤٦ . والمعارف لابن قتيبة ، ص ١٣٧) .

(٢) هى الآية ١٠ من سورة ق . وفى الأصل : « ونزلنا » وتلتبس هذه الآية بالآية ٢٨ من سورة الفرقان .

(٣) الآية ٣٥ من السورة ٢٤ (النور) . (٤) فى الاصل : «أبوا» .

(٥) هو سليمان بن مهران ، ويكنى أبا محمد ، مولى لبنى كاهل من بنى أسد ، ولد يوم قتل الحسين بن على — يوم عاشوراء سنة ٦١ هـ — ، ومات سنة ١٤٨ (٧٦٥م) « المعارف ، ص ٢١٤ » .

(٦) أبو الحسن خيثمة بن سليمان ، حيدرة القرشى الطرابلسى ، من حفاظ الحديث رحالة ، له كتاب كبير فى « فضائل الصحابة » ، وهو من أهل طرابلس الشام مسكنا ووفاة ، مات سنة ٣٤٣ (٩٥٤م) . « الأعلام » .

(٧) أبو عبد الرحمن الأسود بن يزيد بن قيس ، مات سنة ٧٤ ، وقيل سنة ٧٥ هـ (٦٩٤م) . « المعارف ، ص ١٩١ » .

[و] حدثنا وكيع [١] ، عن سفيان [٢] ، عن أبى إسحاق [٣] ، عن الأسود ، عن عبد الله (؟) ، قال : « العسل شفاء من كل داء ، والقرآن شفاء لما فى الصدور » .

وذهب آخرون إلى أنه ليس بعام فى كل علة ، وكل إنسان ، وإنما هو خبرٌ بأنه يُشفى كما يُشفى غيره من الأدوية بعض الأمراض — لا كلها — ؛ واحتجوا لذلك بأن « شفاء » نكرة فى سياق الإثبات ، ولا عموم فيها باتفاق أهل العربية . والتحقيق أنّ مَنْ قوى يقينه ، وصدق عزمه ، لثبات قدمه ورسوخها فى التصديق ، فإنه يشتفى بالعسل من [٤] جميع الأدواء ، ويبرئ به الله (٣١) على يديه سائر الأمراض ؛ وأما من ضعف يقينه ، وكان فى شك ، وتردد بين ما جاء به القرآن ، وما ذكره الأطباء ، فإنه موكول إلى ما تعلق به .

وقد اُعترض على من قال بعموم منافع العسل أنه يضر بعض الناس ، كمن عنده صفراء محرقة ، فإنه إذا شرب العسل عظمت مضرته ، أجيب بأنه قد تقرر بأن ما من شىء — وإن جلت منفعته ، كالماء الذى منه حياة كل حيوان ونبات — إلا وفيه منفعة ، فالحكم للغالب ، فما غلبت منفعتُه

(١) أبو سفيان وكيع بن الجراح ، من بنى رواس بن كلاب بن ربيعة بن عامر ، كان أبوه على بيت مال المهدى ، وتوفى هو فى طريق مكة سنة ١٩٧ هـ (٨١٢م) . « المعارف ، ص ٢٢١ »

(٢) أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبى عمران ، ولد سنة ١٠٧ هـ ، ومات سنة ١٩٨ هـ (٨١٣م) . « المعارف ، ص ٢٢١ » .

(٣) أبو إسحق السبيعى ، من التابعين ، مات سنة ١٢٧ هـ (٧٤٥م) . « المعارف ، ص ١٩٩ » .

(٤) فى الأصل « فى » .

مضرتَه قيل فيه نافع بإطلاق ، وما غلبت مضرتُه على منفعته قيل فيه ضارٌّ بإطلاق . ولا ريب عند الأطباء وغيرهم فى عموم منفعة العسل ، والتداوى به فى أكثر الأمراض ، ومدحه ؛ لا سيما ما رُكِّب منه : كالسكنجبين[1] ، والمعاجين ، فإن أصلها العسل ، ولا يغرنك ما ألفته من استعمال ما ذكرنا بالسُكّر دون العسل ، فإنه أمر محدث لا تكاد تجده فى كتب قدماء أطباء الإسلام ، فضلا عن أطباء اليونان ، ومن قبلهم ، وأنت تعرف صحة ذلك إن كنتَ ممن تمهر فى الطب .

وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر من يشتكى بطنه بشرب العسل ، فلما أخبره أخو المشتكى بأنه لم يزده إلا استطلاقا أمره صلى الله عليه وسلم بمعاودة شربه ، إلى أن قال صلى الله عليه وسلم : « صدق الله ، وكذب بطن أخيك » ؛ قال يعقوب بن السكيت : « يقال للرجل إذا أغريته بالشىء ، وأمرته به : « كذب عليك كذا وكذا ، أى عليك به » ، قال عمر رضى الله عنه : « كذب عليكم الحج[2] » ؛ وقال ابن كيسان فى بيت عنترة [يخاطب زوجته[3]] :

---

(١) السكنجبين دواء عربى قديم مركب من الخل والعسل ، وهو لفظ معرب عن الفارسية وأصله : « سِكنگبين » أو « سِركنگبين » ؛ والأول مركب من « سيكى » و « أنگبين » ؛ والثانى من « سِركا » و انگبين » و « سيكى » و « سركا » معناهما الخل ، و « أنگبين » معناه العسل ؛ فمعناه إذن كل شراب حلو حامض يتخذ دواء للصفراء . انظر : (معجم استينجاس ؛ وتذكرة داود (مادة شراب) ومنهاج الدكان ، ص ٣١ — ٣٢ ، ٣٨ — ٣٩ ؛ ومفاتيح العلوم للخوارزمى ، ص ١٠٥ ، والحيوان للجاحظ (نشر الاستاذ هارون) ، ج ٥ ، ص ١٤٦ ، هامش ٣) .

(٢) فى القاموس : « وكذبَ قد يكون بمعنى وَجَب ، ومنه كذبَ عليكم الحجُّ ، كذب عليكم العُمرَة ، كذب عليكم الجهادُ ، ثلاثة أسفار كذبْنَ عليكم » .

(٣) الزيادة عن : « اللسان » ، مادة « كذب » .

(٣٢) كَذَبَ العَتِيقُ (١ وماءُ شَنٍّ باردٍ

إن كُنْتِ سَائِلَتى غَبُوقاً فاذْهَبِى (١

يُروى كَذَبَ العَتِيقُ بالرفع ؛ وكُذِبَ عليكم أى وَجَبَ ، وكَذِبَت على فلان الحجة أى قامت . وكأن قول عنترة « وجب هذا للفرس ، وليس لكِ شىء (٢) » .

وقال ابن قتيبة فى قوله عليه الصلاة والسلام لمن احتجم يوم الأحد والخميس « كذباك » : أى عليك بهما .

قال خِدَاش (٣) بن زهير :

كَذَبْتُ عليكم أوْعِدونى (٤) وعَلِّلُوا

بِىَ الأرضَ والأقوامَ قِردانَ مَوْظبَا (٤)

— عللوا بى الأرض أى تغنوا بهجائى فى سفركم —

وأنشد أيضا لُمعَقِّر بن (٥) حمار [البارقى] :

---

(١) فى الأصل : « ... واشنى بارة وإن ... » والتصحيح عن : « اللسان » .

(٢) كذا فى الأصل ، ويوضحه ما جاء فى اللسان من أن عنترة يقول لزوجته : « عليك بأكل العتيق ، وهو التمر اليابس ، وشرب الماء البارد ، ولا تتعرضى لغبوق اللبن ، وهو شربه عشيا ، لأن اللبن خصصت به مُهرى الذى أنتفع به ، ويسلمنى وإياك من أعدائى » .

(٣) فى الأصل : « خراش » وانظر بعض أخباره فى : (الأغانى ، ط . دار الكتب ، ج ٣ ، ص ٢ — ٧ ؛ ج ٥ ، ص ٢٣) .

(٤) فى الأصل : « وأوعدونى » و « موطنا » ، والتصحيح عن « اللسان » ومعنى البيت : « عليكم بهجائى إذا كنتم فى سفر ، وأنشدوا القوم هجائى ياقردان موظب » .

(٥) هو سفيان بن أوس ، معقر بن الحارث بن أوس بن حمار بن شجنة بن مازن بن ثعلبة بن كنانة بن سعد ، شاعر جاهلى أدرك يوم جبلة ، وكان شيخا كبيراً أعمى ، =

وذُبْيَانيَّة أَوْصَتْ بَنِيهـــا بأنْ كَذَبَ القَرَاطِفُ[1] والقُرُوفُ

— والقراطف القطف (؟) ، والقروف[2] أوعية النحل فى قول ابن عبيد ، وفى قول ابن قتيبة أوعية الخلع من جلود يجعل فيها لحم تنخلع منه العظام — ، تقول امرأة لبنيها أى اغتنموا القراطف[3] والقروف ؛ وفى قول ابن دريد[4] : القروف أوعية من أدم ينتبذ فيها ؛ و [القراطف] عند الفراء هو جمع قطيفة (؟) .

وقال أبو عبيد[5] فى قول عمر « كذب عليكم الحج » أى عليكم

= ويقال إنه سمى معقرا لقوله فى قصيدته المشهورة :

لها ناهض فى الوكر قد مهدت له كما مهدت للبعـل حسناء عاقر

انظر أيضا : « الأغانى ، ج ١١ ، ص ١٣٧ ، والمرزبانى ، معجم الشعراء ، ص ٩٢ ، ١٣٤ ، ٢٠٤ » .

(١) فى الأصل : « وصت » ، « القواطف » والتصحيح عن اللسان .

(٢) جاء فى « القاموس » أن « القَرْف شجر يُدبغ به ، أو وعاء يُدبغ بقشور الرمان يجعل فيه لحم مطبوخ بتوابل » .

(٣) فى الأصل « اعتموا القراطف » والذى فى اللسان أن « القراطف » « أكسية حمر » ، ومعنى البيت أن هذه المرأة كان لها بنون يركبون فى شارة حسنة ، وهم فقراء لا يملكون وراء ذلك شيئا ، فساء ذلك أمهم لأنها رأتهم فقراء ، فقالت : « كذب القراطف والقروف » أى أن زينتهم هـذه كاذبة ، ليس وراءها عندهم شىء .

(٤) هو محمد بن الحسن أبو بكر بن دريد الأزدى اللغوى ، ولد بالبصرة سنة ٢٢٣ (٨٣٨م) ثم صار إلى عمان فأقام بها إلى أن مات ، تصدر فى العلم ستين سنة ، وكان يقال عنه إنه أشعر العلماء وأعلم الشعراء ، وهو صاحب الجمهرة ، والمقصورة ، والأمالى ، والأنواء ، والسلاح ، وغريب القرآن ... الخ . الخ ، مات فى رمضان سنة ٣٢١ (٩٣٣م) ، انظر ترجمته فى تفصيل فى « بغية الوعاة ، ص ٣٠ — ٣٣ » .

(٥) هو أبو عبيد القاسم بن سلام ، كان أبوه مملوكا روميا ، يقول فيه السيوطى فى بغية الوعاة « كان إمام أهل عصره فى كل فن وعلم » ، له تصانيف كثيرة فى علوم اللغة والقرآن ، مات بمكة سـنة ٢٢٣ أو ٢٢٤ عن سبع وستين سنة ؛ انظر أيضاً « بغية الوعاة » ، ص ٣٧٦ » .

بالحج ؛ وجاء مرفوعا ، وأصله النصب ، ولم يُسمع فيه النصب إلا فى حرف[1] حكاه أعرابى نظر إلى ناقة [نضوٍ لرجل][2] ، فقال : « كَذَبَ عَلَيْكَ[3] البَزْرَ والنَوَى » .

وقال ابن دريد : "شـكا عمرو بن معدى كرب إلى عمرَ المَعَص — وهو التواء العصب[4] من إدمان المشى[5] — فقال : « كَذَبَ عليك العسلُ » " — [يريد العَسَلانَ — وهو مَشْىُ الذئب — أى عليك بسرعة المشى[6]] .

وقال ابن الأعرابى[7] : كان أصل « كذب عليكم الحج » أن رجلا قال : « لا أحج » ، فقال آخر : « كذب عليكم الحج » ؛ ثم استعمله العرب فى موضع وجب ؛ وأصل الـكذب الإمكان ، حكى عن هشام أنه قال : (٣٣) « كذبكم قتادة » — أى أمكنكم فاحملوا عنه — ، وقول

---

(١) فى « اللسان » : « شىء » .

(٢) الزيادة عن : « اللسان » .

(٣) فى الأصل : « عليكم » ، والتصحيح عن : « اللسان » .

(٤) فى اللسان : « المعص — بالعين المهملة — التواء فى عصب الرِّجْل » .

(٥) فى الأصل : « الشىء » .

(٦) فى الأصل : « أى الشىء السريع ، أى عليك به » ، وما أثبتناه هنا صيغة « اللسان » .

(٧) محمد بن زياد أبو عبد الله بن الأعرابى من موالى بنى هاشم ، كان نحويا عالماً باللغة والشعر كثير السماع من المفضل الضبى (وكان زوج أمه) ، راوية للأشعار ، حسن الحفظ ، وكان أحول أعرج ، قال ثعلب : « شاهدت ابن الأعرابى وكان يحضر مجلسه زهاء مائة إنسان ، كل يسأله أو يقرأ عليه ويجيب من غير كتاب » . ولد سنة ٢٥٠ (٨٦٤) ، وتوفى بسر من رأى سنة ٢٣١ — وقيل سنة ٢٣٣ . انظر : « بغية الوعاة ، ص ٤٢ — ٤٣ » .

الرجل : « كذبت » — أى أمكنتَ من نفسك وضعفت — وقولهم « صدقت » أى صلبت ، والصدق الصلب . .

وروى الطبرانى أن علياً وفاطمة رضى الله عنهما سألا النبى صلى الله عليه وسلم خادماً ، فقال لهما : "كذبتما ، لا أترك هذه الصُفّة تنطوى بطونهم من الجوع وأعطيكما" . وقال : فى قوله كذبتما : لغة العرب إذا أرادوا أن يقولوا للإنسان يسأل شيئاً « لا أفعل » قالوا كذبت ، ولا يريد بقوله هذا شتما ، كقوله : « كذب بطنك » و « كذب عينك » لشىء ينكرونه أن يكون من القول ذلك له . فاعترض بعض من فى قلبه شك بأن الأطباء قد أجمعوا على أن العسل يُسهِل ، فكيف يوصف لمن به إسهال ؟ وأجيب بالمنع ، فقد نصّ علماء الطب كمحمد بن زكريا الرازى [1] ، والرئيس [2] أبى على بن سينا ، ومن قبلهما جالينوس فى آخرين ، بأن العسل وإن كان يجذب الرطوبات من قعر البدن ، ويلين الطبيعة ، فإنه ربما عقل المبلغمين ، وأنه إن تمكن من تنفيذ الغذاء عَقَل الطبيعة ، وإن كان الاستعداد من الغذاء فى النفوذ قليلا أطلق . هذا هو التحقيق فى ذلك ، فتبيّن أن العسل ليس بمسهِل على كل حال ، وأنّ حكاية الإجماع غير صحيحة ، فمن الأطباء من منع ذلك سوى من ذكرنا ، وأجاب بعضهم بأن الإسهال المذكور كان عن

---

(١) أبو بكر محمد بن زكريا الفخر الرازى ، فيلسوف وطبيب ، من أهل الرى ، ولع بالموسيقى والغناء فى صغره ، والطب والكيمياء فى كبره ، فتولى رياسة أطباء البيمارستان فى بغداد ، له كتب كثيرة ذكر منها ابن النديم ١٤٧ كتابا ورسالة . عمى فى آخر عمره ، مات سنة ٣١١ (٩٢٣ م) انظر : (نكت الهميان ؛ وفيات الأعيان) .

(٢) فى الأصل : « والرايس » .

امتلاء وهيضة ، فناسبه شراب العسل ليخرج ما هنالك منها حتى يذهب الامتلاء ؛ وقد أغنانا الله — وله الحمد — بما أنزله فى كتابه ، وما صحّ من حديث نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عن قول (٣٤) الأطباء التى لا تكاد أدلتها تصح[١] ، إذ غايتها أن تكون إقناعية . هذا لو كان قول الأطباء فيه ما يخالف ذلك ، وأما ما كان موافقاً فماذا بعد الحق إلّا الضلال .

وأُودِعُ سمعَك فائدة جليلة ، وهى أن الطب النبوى جميعه قسمان : أحدهما ما كان من عادة العرب والتداوى به ، والثانى ما جاء بوحى إلهى . فالأول قسم من أقسام الطب ، والثانى لا يصح تأثيره إلا مع قوة إيمانية ، ويقين صادق ، وإلا فلا منفعة له ، فإنه — إذا اقترن به ما شرطناه — لأنجع دواء ، وأسرع شفاء ، فطال ما استشفى وشفى أهل الله ، وخاصة بآية من القرآن ، ولعقة من عسل ، أدواء يعجز عنها حذاق الأطباء ، « وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ[٢] » .

فصــــل

خرّج أبو داود فى « سننه » من حديث عبد الله بن عباس — رضى الله عنهما — أن النبى — صلى الله عليه وسلم — نهى عن قتل أربع من الدواب : الهدهد ، والصُّرَد[٣] ، والنملة ، والنحلة .

---

(١) فى الأصل : « لا يصح » .

(٢) الآية ٤٦ ، من السورة ٢٤ :

(٣) روى هذا الحديث بإسناد آخر فى : « ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج ٢ ، ص ٨٩ » ، والصرد طائر أبقع أبيض البطن ، أخضر الظهر ، ضخم الرأس والمنقار ، له مخلب ، يصطاد العصافير وصغار الطير ، ويكنى بأبى كثير . انظر أيضاً : « الدميرى ، حياة الحيوان ، ج ٢ ، ص ٥٣ — ٥٥ » .

وكره مجاهد قتل النحل . وقال فى « الإبانة »[١] : « يكره قتلها » ،
وروى الحكيم أبو عبد الله محمد بن على الترمذى فى « كتاب نوادر الأصول »[٢]
من حديث أبى هريرة — رضى الله عنه — عن النبى صلى الله عليه وسلم
أنه قال : " إن الزنابير كلها فى النار ، يجعلها عذابا لأهل النار ، إلا النحل "

وقال أبو[٣] على الموصلى : حدثنا شيبان بن فروخ[٤] ، حدثنا مسكين
ابن عبد العزيز ، عن أبيه ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : "عمر الذباب أربعون ليلة ، والذباب كله فى
النار إلا النحل" .

وحدثنا الحسن بن عمر بن شقيق[٥] ، حدثنا إسماعيل[٦] عن الأعمش
عن مجاهد (٣٥) ، عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم
قال : « الذباب كله فى النار إلا النحل . » ، وكان مجاهد يكره قتل النحل ،

---

(١) لعله يقصد كتاب « الإبانة فى فقه الشافعى » لأبى القاسم عبد الرحمن بن محمد الفورانى المروزى ، المتوفى سنة ٤٦١ هـ . انظر « كشف الظنون » .

(٢) هو كتاب « نوادر الأصول فى معرفة أخبار الرسول » لأبى عبد الله محمد ابن على بن حسن بن بشير المؤذن الحكيم الترمذى ، المتوفى شهيداً سنة ٢٥٥ . « كشف الظنون » .

(٣) فى الأصل : « أبوا » .

(٤) هو شيبان بن أبى شيبة الحبطى ، ولد فى حدود سنة ١٤٠ ، ومات فى سنة ٢٣٦ ، وقيل ٢٣٥ ، « تهذيب التهذيب » .

(٥) الحسن بن عمر بن شقيق بن أسماء الجرمى أبو على البصرى ، سكن الرى ، وكان يتجر إلى بلخ ، فعرف بالبلخى ، ذكره ابن حبان فى الثقات ، أقام ببلخ خمسين سنة ، ثم خرج إلى البصرة سنة ٢٣٠ ، ومات بعد ذلك فى حدود سنة ٢٣٢ . « تهذيب التهذيب » .

(٦) إسماعيل بن إبان الغنوى الخياط أبو إسحاق الكوفى ، ليس بثقة ، قال ابن حبان كان يضع الحديث على الثقات ، مات سنة ٢١٠ هـ . « تهذيب التهذيب » .

وخرّجه أبو أحمد بن عدىّ فى : « كتاب الكامل »[١] من حديث عمرو ابن نفيل ، عن مجاهد ، عن ابن عمر رضى الله عنهما ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الذباب كله فى النار إلا النحل " .

وللبخارى من حديث عائشة رضى الله عنها ، قالت : " كان النبى صلى الله عليه وسلم يعجبه الحلوى[٢] والعسل " . وله من حديث جابر بن[٣] عبد الله رضى الله عنهما ، قالت : « سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : " إن كان فى شىء من أدويتكم ، أو يكون فى شىء من أدويتكم خيرٌ ، ففى شرطة محجم[٤] ، أو شربة عسل ، أو لذعة بنار توافق الداء ، وما أحب أن أكتوى " .

وله ، عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : " الشفاء فى ثلاثة : فى شرطة محجم ، أو شربة عسل ، أو كية بنار ، وأنا أنهى أمتى عن الكىّ " . وخرّجه مسلم من حديث جابر رضى الله عنه ،

---

(١) هو كتاب « الكامل فى معرفة الضعفاء والمتروكين من الرواة » لأبى أحمد عبد الله المعروف بابن عدى الجرجانى المتوفى سنة ٣٦٥ ، فى ستين جزءاً ، وهو أكمل كتب الجرح والتعديل « كشف الظنون » .

(٢) فى صحيح البخارى ، باب الدواء بالعسل : « الحلواء » .

(٣) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة الخزرجى السلمى ، روى عن النبى وكثير من الصحابة ، ويقال إنه غزا مع النبى ١٩ غزوة ، آخر من مات من الصحابة بالمدينة ، اختلف فى تاريخ وفاته ، فقيل مات سنة ٧٣ أو ٧٧ أو ٧٨ « تهذيب التهذيب » .

(٤) عرف المحاجم الدكتور أحمد عيسى بك فى رسالته « آلات الطب والجراحة والكحالة عند العرب » ص ١٥ ، فذكر أنها ثلاثة أنواع : كبار وأوساط وصغار ، وأنها « تصنع من نحاس أو من صينى ، مدورة إلى الطول قليلا أسطوانية ، رقيقة الجدر ، وبها يقطع النزف بسرعة » ؛ ثم ذكر أن منها محجمة تستعمل بالنار وأخرى تستعمل بالماء ، ووصف كلا منهما ، انظر رسم هذه المحاجم فى الألواح الملحقة بهذا المرجع .

[قال] ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن كان فى شىء من أدويتكم خير ، ففى شرطة محجم ، أو شربة من عسل ، أو لذعة من نار " ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، " وما أحب أن أكتوى " .

وللبخارى ومسلم من حديث أبى سعيد الخدرى [1] رضى الله عنه ، قال : « جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن أخى قد استطلق بطنه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اسقه عسلا » ، فسقاه ، ثم جاءه ، فقال إنى سقيته عسلا ، فلم يزده إلا استطلاقا ، فقال له ثلاث مرات ، ثم جاء الرابعة ، فقال [عليه السلام] : « اسقه عسلا » ، فقال : لقد سقيته ، فلم يزده إلا استطلاقاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " صدق الله ، وكذب بطن أخيك " . (٣٦) فسقاه فبرأ . — اللفظ لمسلم — ، ولم يذكر البخارى قوله : « فقال له ثلاث مرات » إلى قوله : « استطلاقا » ، ولا ذكر قوله : « فسقاه فبرأ » .

وفى لفظ مسلم أنّ رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : " إن أخى عَرِبَ [2] بطنه " ، فقال : « اسقه عسلا ... الحديث » ؛ وفى لفظ البخارى أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : « أخى يشتكى بطنه » ، فقال : « اسقه عسلا » . ثم أتاه الثانية فقال : « اسقه عسلا » ، ثم أتاه الثالثة فقال : « اسقه عسلا » ، ثم أتاه فقال : « فعلت » ، فقال

---

(١) هو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر ، من أفاضل الأنصار ، حفظ عن الرسول عليه السلام كثيراً ، وروى عنه كثير من الصحابة ، ومات سنة ٧٤ هـ ، انظر : (تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص ١٨٠ — ١٨١) .

(٢) عرب هنا بمعنى فسد « اللسان » .

[عليه السلام] : "صدق الله ، وكذب بطن أخيك ، أسقه عسلا" . فسقاه فبرأ .

وخرّج ابن ماجه[١] ، والحاكم من حديث عبد الله[٢] بن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "العسل شفاء من كل داء ، والقرآن شفاء لما فى الصدور ، فعليكم بالشفاءين : القرآن والعسل" .

ولابن ماجه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "من لعق العسل ثلاث غدوات[٣] [من] كل شهر لم يصبه عظيم من البلاء" . انتهى

فصـــل

روى الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى فى مسنده ، وأبو عيسى الترمذى فى جامعه[٤] ، والحاكم أبو[٥] عبد الله فى مستدركه [والنسائى[٦]] من حديث عمر بن الخطاب رضى الله [تعالى] عنه ، أنه

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينى ، مؤلف أحد الصحاح الستة فى الحديث ، ولد عام ٢٠٩ (٨٢٤ م) ، وارتحل إلى العراق وبلاد العرب والشام ومصر يجمع الأحاديث ، وتوفى سنة ٢٧٣ (٨٨٦) ، انظر : « وفيات الأعيان » و « دائرة المعارف الإسلامية » .

(٢) فى الأصل : « أبى عبد الله » .

(٣) فى الأصل : «عزوات كل» ، وقد صححت بعد مراجعة : (الدميرى ، ج ٢ ص ٣٠١) .

(٤) هو جامع الصحيح للجاحظ أبى عيسى محمد بن عيسى الترمذى المتوفى سنة ٧٩ ، وهو ثالث الكتب الستة فى الحديث . «كشف الظنون» .

(٥) هو المستدرك على الصحيحين فى الحديث لأبى عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابورى الحافظ المتوفى سنة ٤٠٥ « كشف الظنون » . والكتاب مطبوع فى حيدراباد سنة ١٣٤٣ .

(٦) الزيادات عن : (الدميرى ، ج ٢ ، ص ٢٩٩) .

قال : " كان رسول الله صلى عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي سُمع عنده دوى كدوى النحل ، فأنزل عليه [صلى الله عليه وسلم] يوماً ، فمكثنا ساعة ، ثم سُرى عنه ، فاستقبل القبلة ، ورفع يديه ، فقال : " اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارض عنا " ، ثم قال [صلى الله عليه وسلم[1]] : " [لقد[1]] أنزل [الله[1]] علىّ عشر آيات من أقامهن[2] دخل الجنة " ؛ ثم قرأ : " قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . الذينَ هُمْ فى صَلاتِهِمْ خَاشِعُون . . . الآيات[3] " ، وهو حديث صحيح الإسناد .

[وروى ابن ماجه عن أبى بشر بكر بن خلف[4] ، قال حدثنى يحيى ابن سعيد[5] ، عن موسى بن أبى عيسى الطحان ، عن عبد الله ، عن أبيه ، أو عن أخيه عن][6] (٣٧) النعمان بن بشير[7] [رضى الله تعالى عنه] أن النبى

---

(١) الزيادات عن : (الدميرى ، ج ٢ ، ص ٢٩٩) .

(٢) فى الأصل : « ..... آيات من دخل الجنة ..... » ، وقد وضعت بين لفظتى : « من » و « دخل » علامة ، وذكر إلى جانبها فى الهامش ما يأتى : « لعله : من قرأهن دخل الجنة ، أو من حفظهن ، أو من عمل بهن » . والتصحيح عن المرجع السابق .

(٣) الآيتان ١ ، ٢ من السورة ٢٣ .

(٤) أبو بشر بكر بن خلف ، ذكره ابن حبان فى الثقات ، توفى سنة ٢٤٠ . « تهذيب التهذيب » .

(٥) يحيى بن سعيد بن قيس الأنصارى البخارى ، أبو سعيد ، من كبار رجال الحديث ، من أهل المدينة ، رحل إلى العراق ، وولى قضاء الحيرة ، توفى سنة ١٤٣ (٧٦٠ م) . « التهذيب ، والأعلام » .

(٦) فى الأصل : « ولابن ماجه من حديث النعمان » ، وقد أكمل النقص فى الإسناد بعد مراجعة : (الدميرى ، ج ٢ ، ص ٢٩٩) .

(٧) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصارى الخزرجى ، له ولأبويه صحبة ، =

— صلى الله عليه وسلم — قال : " إن مما تذكرون من جلال[(١)] الله التسبيح والتهليل والتحميد ينعطفن حول العرش ، لهن دوى كدوى النحل تُذَكِّر بصاحبها[(٢)] ، أما يحب أحدكم أن يكون له ، أولا يزال له من يُذَكِّر به "

[ورواه الحاكم وقال][(٣)] : صحيح على شرط مسلم .

وفى المستدرك عن أبى سبرة الهذلى ، [قال][(٤)] قال عبد الله بن عمرو [رضى الله تعالى عنهما[(٤)]] فحدثنى حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم فهمته وكتبته بيدى : بسم الله الرحمن الرحيم ، هـذا ما حدّث [به][(٤)] عبد الله بن عمرو عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنّ الله لا يحب الفاحش [ولا][(٤)] المتفحش [ولا][(٤)] سوء الجوار[(٥)] ، [ولا][(٦)] قطيعة الرحم " . ثم قال [صلى الله عليه وسلم][(٦)] : " إنّ[(٧)] مثل المؤمن كمثل النحلة وقعت فأكلت طيبا ، ثم سقطت ، ولم تفسد ، ولم تكسر ؛ ومثل

= قال الواقدى : ولد على رأس أربعة عشر شهراً من الهجرة ، وهو أول من ولد فى المدينة من الأنصار بعد قدوم النبى عليه السلام ، استعمله معاوية على الكوفة ، ثم على حمص ، قتل سنة ٦٦ « تهذيب التهذيب » .

(١) فى الأصل : « إنما تذكرون من جلا الله » ، وقد صححت العبارة بعد مراجعة : (الدميرى ، ج ٢ ص ٢٩٩) .

(٢) فى الأصل : « لصاحبها » ، وقد صححت بعد مراجعة : (الدميرى ، ج ٢ ، ص ٢٩٩) .

(٣) الزيادة عن المرجع السابق .

(٤) الزيادات عن المرجع السابق .

(٥) فى الأصل : « الجار » ، وقد صححت بعد مراجعة المرجع السابق ، نفس الجزء والصفحة .

(٦) الزيادات عن المرجع السابق .

(٧) فى الدميرى : « إنما » .

المؤمن كمثل القطعة الذهب الأحمر أدخلت[١] النار، فنفخ عليها، فلم تتغير، ووزنت فلم تنقص [فذلك مثل المؤمن]". [ثم] قال: صحيح الإسناد.

وخرّج الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مثل بلال كمثل[٢] النحلة، غدت تأكل من الحلو والمرّ ثم هو حلو كله".

[وروى][٣] الإمام أحمد [و] ابن أبي شيبة[٤]، والطبراني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "المؤمن كالنحلة تأكل طيبا، وتضع طيبا، وقعت فلم تكسر، ولم تفسد".

وروى البيهقي في شعب الإيمان من حديث مجاهد قال: "صاحبت عمر [رضي الله تعالى عنه][٣] من مكة إلى المدينة فما سمعته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا هذا الحديث: "إن مثل المؤمن كمثل[٥] النحلة إن صاحبته نفعك، وإن (٣٨) شاورته نفعك، وإن جالسته نفعك وكل شأنه منافع، وكذلك النحلة[٦] كل شأنها منافع".

قال ابن الأثير: "وجه المشابهة بين المؤمن والنحلة. حذق النحل وفطنته، وقلة أذاه، وحقارته[٧] ومنفعته، وقنوعه، وسعيه [في النهار][٨]، وتنزهه

---

(١) في الأصل: « إذا أخلت » والتصحيح عن المرجع السابق.

(٢) في الأصل: « مثل » والتصحيح عن المرجع السابق.

(٣) الزيادات عن (الدميرى، ج ٢، ص ٣٠٠).

(٤) عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، أبو بكر، الحافظ الكوفي، محدث ثقة، مات سنة ٢٣٥. « تهذيب التهذيب ».

(٥) بياض في الأصل والتكملة من: (الدميرى، ج ٢، ص ٣٠٠).

(٦) في الأصل: «النحل» والتصحيح: (عن الدميرى، ج ٢، ص ٣٠٠).

(٧) هكذا في الأصل، وفي النهاية لابن الأثير؛ وهي في الدميرى، نفس الجزء والصفحة: « خفارته ».

(٨) الزيادة عن المرجع السابق؛ وفي النهاية لابن الأثير: « في الليل ».

عن الأقذار ، وطيب أكله ، وأنه لا يأكل من كسْب غيره ، ونحوله ، وطاعته لأميره ، وأن للنحل آفات تَقْطَعُه عن عمله : منها الظُّلْمة ، والغَيْم ، والريح ، والدخان ، والماء ، والنار ؛ وكذلك المؤمن له آفات تُفتِّرُه عن عمله ، [منها] : ظلمة[١] الغفلة ، وغيم الشك ، وريح الفتنة ، ودُخان الحرام ، وماء السَّعَة ، ونار الهَوَى ".

وفى مسند الطبرانى[٢] عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : " كونوا فى الناس كالنحلة فى الطير ، ما من شىء إلا وهو يستضعفها ، ولو تعلم الطير مافى أجوافها من البركة ما فعلت[٣] ذلك بها ؛ خالطوا الناس بألسنتكم وأجسادكم ، وزايلوهم بأعمالكم وقلوبكم ، فإن للمؤمن[٤] ما اكتسب ، وهو يوم القيامة مع من أحب ". وله عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سأل كعب الأحبار رضى الله عنه : " كيف تجد نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم [فى التوراة][٥] ؟ " فقال : " نجده : محمد بن عبد الله ، يولد بمكة ، ويهاجر إلى طيبة ، ويكون ملكه بالشام ، ليس بفحّاش[٦] ، ولا صخّاب[٦] فى الأسواق ، ولا يكافئ بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر[٧] ، وأمته الحمادون يحمدون الله فى كل سرّاء وضرّاء ،

---

(١) فى الأصل : « قلة » ، وسياق الجملة يقتضى استعمال لفظ « ظلمة » وهكذا وردت فى : (النهاية لابن الأثير ، وحياة الحيوان للدميرى) .

(٢) فى الدميرى : « الدارمى » .

(٣) فى الأصل : « لم يفعلوا » وما أثبتناه هنا هو صيغة : (الدميرى ، ج ٢ ، ص ٣٠٠) .

(٤) فى الدميرى : « للمرء » .

(٥) الزيادة عن : (الدميرى ، ج ٢ ، ص ٣٠٠) .

(٦) فى الأصل : « بفاحش ولا بسخاب » والتصحيح عن المرجع السابق .

(٧) فى الدميرى : « ويصفح » .

يوضئون أطرافهم ، ويأتزرون فى أوساطهم ، يُصفُّون فى صلاتهم كما يصفُّون فى قتالهم ، دويهم فى مساجدهم كدوى النحـــل ، يسمع مناديهم فى جو السماء ".

وقال بعض الحكماء[١] لتلامذته : " كونوا كالنحل فى الخلايا ". قالوا : " وكيف النحل فى الخلايا ؟ " قال : " إنها لاتترك عندها بطالا (٣٩) إلا نفته — أى أبعدته[٢] وأقصته — عن الخلية ، لأنه يضيق المكان ، ويضنى[٣] العامل ، ويعلم النشيط الكسل ".

وقال الشيخ أبو[٤] حامد الغزالى فى كتاب الإحياء : " انظر إلى النحل كيف أوحى الله إليها حتى اتخذت من الجبال بيوتا ، وكيف استخرجت[٥] من لعابها الشمع والعسل ، وجعل أحدهما ضياء ، والآخر شفاء ؛ ثم لو تأملت عجائب أمرها فى تناولها الأزهار والأنوار ، واحترازها من النجاسات والأقذار ، وطاعتها لواحدٍ من جملتها ، وهو أكبرها شخصاً ، وهو أميرها ؛ ثم ما سخَّر الله تعالى لأميرها من العدل والإنصاف [بينها][٦] ، حتى إنه ليقتل منها على باب المنفذ كل ما وقع منها على نجاسة ، لقيت[٧] من ذلك العجب[٨] إن كنت بصيراً على نفسك ، وفارغاً من همِّ بطنك

(١) فى الدميرى ، ج ٢ ، ص ٢٩٩ : « قال حكيم من اليونان » .
(٢) فى المرجع السابق : « وأبعدته » .
(٣) فى المرجع السابق : « ويفنى العسل » .
(٤) فى الأصل : « أبوا » .
(٥) فى الدميرى ، ج ٢ ، ص ٢٩٨ : « استخرج » .
(٦) الزيادة من المرجع السابق ، نفس الصفحة .
(٧) فى المرجع السابق : « لقضيت » .
(٨) فى الأصل : « المعجب » ، وفى المرجع السابق : « العجب » .

وفرجك ، وشهوات نفسك فى معاداة[١] أقرانك ، وموالاة إخوانك ، ثم دع عنك جميع ذلك ، وانظر إلى بنيانها من الشمع ، واختيارها من جميع الأشكال الشكل المسدس ، فلا تبنى بيتها[٢] مستديراً ، ولا مربعاً ، ولا مخمساً ، بل[٣] مسدسا ، لخاصية فى الشكل المسدس يقصر فهم المهندسين[٤] عن درك[٥] ذلك ، وهو أن أوسع الأشكال وأحواها[٦] المستدير وما يقرب منه ، فإن المربع تخرج منه زوايا ضائعة[٧] ، وشكل النحل مستدير مستطيل[٨] ، فَتَرَكَ المربع حتى لا تبقى الزوايا فارغة ، ثم لو بناها مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج[٩] ضائعة ، فإن الأشكال المستديرة إذا اجتمعت[١٠] لم تجتمع[١١] متراصة ، ولا شكل من[١٢] الأشكال ذوات

---

(١) فى الأصل : « معادات » .

(٢) فى الأصل : « منها » ، والصيغة المثبتة هنا عن : (الدميرى ، ج ٢ ، ص ٢٩٨) .

(٣) فى الأصل : « إلا » والصيغة المثبتة هنا عن المرجع السابق .

(٤) فى المرجع السابق ، وفى : « العمرى ، مسالك الأبصار ، ج ١٢ ، فصل النحل » ، وفى : « القزوينى ، عجائب المخلوقات ، ص ٣٩٨ » : « المهندس » .

(٥) هذه صيغة الأصل والدميرى ، وفى مسالك الابصار ، وعجائب المخلوقات : « عن إدراكها » .

(٦) هذه صيغة الأصل والدميرى ، وفى المرجعين السابقين : «وأجودها» .

(٧) فى الأصل « ضائقة » . وهذه صيغة : « القزوينى ، ص ٣٩٨ » ، و « الدميرى ، ج ٢ ، ص ٢٩٩ » و « العمرى ، مسالك الأبصار ، ج ١٢ » .

(٨) فى الأصل : « ومستطيل » .

(٩) فى الأصل : « فرجة ضائقة » والتصحيح عن المراجع السابقة .

(١٠) هذه صيغة الأصل والدميرى ، وفى العمرى ، والقزوينى : « جُمعت » .

(١١) فى الأصل : « لم تجتمع إلا متراصة » وهو خطأ تصححه المراجع السابقة وسياق المعنى ؛ ونلاحظ هنا أن اتفاق المقريزى والدميرى فى الصيغة يدل بوضوح على أن الأول ينقل عن الثانى — فى هذا الفصل — نقلا حرفياً .

(١٢) هذه صيغة المراجع السابقة ، وفى الأصل «فى»

الزوايا يقرب فى الاحتواء من المستدير، ثم تراص الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة إلا المسدس، وهذه خاصية هذا الشكل؛ فانظر كيف ألهم الله تعالى هذا (٤٠) النحل — على صغر جُرمه — اتخاذ هذه الأشكال المتساوية الأضلاع بحيث لا يزيد ضلع عن ضلع، ولا ينقص، [ويعجز عن هـذا التساوى المهندس الحاذق بالفرجار والمسطرة[١]] لطفاً به[٢]، وعناية بوجوده[٣] فيما هو محتاج إليه، ليهنأ[٤] عيشه، فسبحانه ما أعظم شأنه، وأوسع فضله وامتنانه.

وقال بعض الحكماء: "بيوت النحل من أعجب الأشياء، لأنها مبنية على الشكل [المسدس][٥] الذى لا ينحرف، كأنه استنبط بقياس هندسى، ثم هو فى[٦] دائرة مسدسة لا يوجد فيها اختلاف، فبذلك اتصلت حتى صارت كالقطعة الواحدة، وذلك لأن[٧] الأشكال من الثلاثة إلى العشرة إذا جُمع كل واحد منها إلى أمثاله لم يتصل، وجاءت بينها[٨] فروج إلا الشكل المسدس، فإنه إذا اجتمع[٩] إلى أمثاله اتصل كأنه قطعة واحدة

---

(١) الزيادة عن: « القزوينى، عجائب المخلوقات، ص ٣٩٩ » و « العمرى، مسالك الأبصار، ج ١٢، فصل النحل »، وإن كان قد ذكر لفظ « البركار » بدلا عن « الفرجار ».

(٢) فى الأصل: « منه »، وهذه صيغة: « الدميرى، ج ٢، ص ٣٠٠ ».

(٣) فى الأصل: بوجود ما هو » والتصحيح عن المرجع السابق.

(٤) فى الأصل: « ليتهنى »، والتصحيح عن المرجع السابق.

(٥) الزيادة عن: « الدميرى، ج ٢، ص ٢٩٨ ».

(٦) فى الأصل: « من »، وهذه صيغة الدميرى.

(٧) فى الأصل: « أن »، وهذه صيغة الدميرى.

(٨) فى الأصل: « بينهما »، وهذه صيغة الدميرى.

(٩) فى الدميرى: « جُمع ».

كل هذا بغير قياس(١) [منها](٢) ولا آلة ولا بركار ، بل ذلك من أثر صنع اللطيف الخبير ، و إلهامه إياها ".

وقال آخر : " جمع الله تعالى فى النحلة السم والعسل ، ليكون دليلا على كمال قدرته ، وأخرج منها العسل ممزوجا بالشمع ، وكذلك عمل المؤمن ممزوج بالخوف والرجاء ".

وفى تاريخ أصفهان(٣) ، فى ترجمة أحمد بن الحسن ، عن عمر رضى الله عنه — يرفعه — : " أول نعمة ترفع(٤) من الأرض العسل . " ؛ وقال فى المثل : " أنحل من نحلة ، وأهدى من نملة " ؛ ويقال : " كلام كالعسل ، وفعل كالأسل(٥) " ، والله أعلم .

فصـــل

اختلف أهل العلم فى أكل النحل ، فأباحه بعضهم كالجراد ، والمذهب تحريم أكلها ، وإن كان العسل الخارج منها حلالاً ، كالآدمية ، لبنها

---

(١) فى الدميرى : « مقياس » .   (٢) الزيادة عن : « الدميرى » .

(٣) لم يعيّن المقريزى اسم مؤلف هذا التاريخ ، وقد ذكر الصفدى فى « الوافى بالوفيات » ، ج ١ ، ص ٤٨ » أسماء الكتب التى ألفت فى تاريخ أصفهان — وأفاد هو منها — وهى : « تاريخ أصبهان لحمزة (؟) ، والطبقات الأصفهانية للشيخ ابن حيّان ، وتاريخها أيضاً لأبى نعيم ، وتاريخها أيضاً لابن مَردويه ، وتاريخها أيضاً ليحي ابن منده » . هذا ولم يطبع من هذه الكتب إلا « أخبار أصفهان » لأبى نعيم (٣٣٦ — ٤٣٠) ، فقد طبع فى جزئين فى ليدن سنة ١٩٣١ ، بعناية المستشرق « سفن ديدرنج » .

(٤) فى الأصل : « تقع فى الأرض » وهو خطأ ، والتصحيح عن : « الدميرى ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ » .

(٥) جاء فى « اللسان » : « الأسَل كل ما أرق من الحديد ، وحدد من سيف أو سكين أو سنان ، وأصل الأسل نبات له أغصان دقاق كثيرة لا ورق لها » .

حلال ولحمها حرام ؛ ولأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قتلها .

وقد اختلف أيضا فى بيعها ، فقال أصحابنا : بيع النحل وهو فى السكوارة[١] صحيح إن روى جميعه ، و إلا فهو بيعُ غائب ، فإن باعها (٤١) وهى طائرة — ففى[٢] التتمة يصح وفى التهذيب عكسه — ؛ وصورة المسئلة أن تكون الأم فى السكوارة ، كما قالة ابن الرفعة[٣] ؛ والأصح من الوجهين الصحة والفرق بينها[٤] و بين باقى الطير من وجهين : أحدهما أنها لا تقصد بالجوارح[٥] بخلاف غيرها ، والثانى أنها تأكل فى [الغالب][٦] والعادة [إلا مما ترعاه][٦] ، فلو توقف فى صحة البيع على رؤيتها[٧] لربما أضرّ بها ، أو تعذر بسببه[٨] بيعها ، بخلاف غيرها من الطيور .

وذهب أبو[٩] حنيفة — رحمه الله تعالى — إلى أنه لا يصح بيعها كالزنابير ، وسائر الحشرات .

---

(١) فى الأصل : « السكورة » وهو خطأ ؛ راجع ما سلف ، ص٦ ، هامش٢ .

(٢) فى الأصل : « فقال فى التتمة » ، وهذه صيغة الدميرى ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ ، وهى أفضل .

(٣) هو نجم الدين أحمد بن محمد بن على بن الرفعة فقيه مصرى ، ولد سنة ٦٤٥ وتوفى سنة ٧١٠ ، انظر : (السلوك للمقريزى ، ج ١ ، ص ٩١٢ ، ج ٢ ، ص ٣٩ ، ٩٤ ، ١٣٤) .

(٤) فى الأصل : « بينهما » وهو خطأ .

(٥) فى الأصل : « بالجو المرح » ، والتصحيح عن : « الدميرى ، ج ٢ ، ص ٣٠٤ » .

(٦) الزيادات عن المرجع السابق .

(٧) فى الدميرى : « على حبسها » .

(٨) فى الأصل : « بسبب » ، والتصحيح عن المرجع السابق .

(٩) فى الأصل : « أبوا » .

واحتج أصحابنا بأنه حيوان طائر ينتفع[١] به ، فجاز بيعه كالشاة [والحمام][٢] ، بخلاف الزنبور والحشرات ، فإنها لا منفعة فيها .

واختلف أيضا فى زكاة العسل ، فروى أبو[٣] عيسى الترمذى من حديث صدقة[٤] بن عبد الله بن موسى بن يسار ، عن نافع[٥] ، عن ابن عمر — رضى الله عنهما — قال قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : " فى العسل فى كل عشرة آلاف زِقٍ[٦] زِقٌ " ؛ وقال أبو عيسى : " فى إسناده مقال " ، ولا يصح عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الباب كبير شىء ، والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم ، و به يقول أحمد واسحاق ؛ وقال بعض أهل العلم : " ليس فى العسل شىء ، وصدقة بن عبد الله ليس بالحافظ ،

---

(١) فى « الدميرى » : « منتفع » .

(٢) الزيادة عن : « الدميرى » .

(٣) فى الأصل : « أبوا » ؛ وقد اعتاد كاتب هذه النسخة أن يرسم هذا اللفظ بزيادة الألف بعد الواو ، وسيدأب الناشر على تصحيحه فيما يلى دون الإشارة إلى ذلك فى الهوامش . والترمذى هو أبو عيسى بن محمد بن عيسى بن سورة بن الطحال السلمى البوغى الترمذى ، الضرير ، أحد الأئمة فى علم الحديث ، صنّف كتاب « الجامع » وهو ثالث الكتب الستة فى الحديث ، وهو تلميذ البخارى ؛ ولد سنة ٢٠٩ ، وتوفى بترمذ سنة ٢٧٩ ، وله أيضا كتاب « الشمائل النبوية والخصائل المصطفوية » . انظر : « الوفيات لابن خلكان » و « كشف الظنون » و « معجم سركيس » .

(٤) صدقة بن يسار الجزرى ، من أهل الجزيرة ، سكن مكة ، وقال ابن سعد توفى فى أول خلافة بنى العباس ، وذكره ابن حبان فى الثقات . انظر : « تهذيب التهذيب » و « ميزان الاعتدال » .

(٥) ذكر ابن حجر فى « تهذيب التهذيب » تسعة عشر محدثا يحملون هذا الاسم .

(٦) فى « القاموس » : الزِّقُّ سقاء يصنع من جلد ، وجمعه أزقاق ، وزِقاق ، وزُقّان ؛ وذكر أبو منصور الثعالبى فى كتابه « فقه اللغة » ، ص ١٧٢ ، أن الزِّق وعاء للخمر أو للخل ، أما وعاء العسل فيُسمى : « البديع » فقد ورد فى الحديث : « إن تهامة كبديع العسل ، أوله حلو وآخره » .

وقد خولف فى روايته هـذا الحديث . " ، وقال الإمام أحمد بن حنبل : " صَدَقَة ليس يساوى حديثه شيئاً . " ؛ وقال ابن حبّان : " يروى الموضوعات عن الثقات . " ؛ وقال النسائى : " صدقة ليس بشىء ، وهذا حديثٌ (٤٢) منـكر . " ؛ ولذلك لم ير مالك والشافعى فى العسل زكاة ، و به قال داود ، ومِنْ قبله سفيان الثورى ، والحسن بن حىّ[١] ؛ وروى عن على وابن عمر رضى الله عنهما ، وذهب الشافعى فى القديم إلى القول بزكاة العسل .

وقال أبو حنيفة : " إن كان النحل فى أرض العشر ففيه الزكاة ، وهو عشر ما أصاب منه — قل أو كثر — ، وإن كان النحل فى أرض خراج فلا زكاة فيه — كثر أو قل — ، وإن كان فى المفاوز والجبال ، على الأشجار وفى الـكهوف فلا شىء فيه ، وهو بمنزلة الثمار تـكون فى الجبال والأودية لاخراج عليها ولا عُشْر . "

وقال أبو يوسف : " إذا بلغ العسل عشرة أرطال ففيه رطل واحد ، وهكذا ما زاد ففيه العشر — والرطل هو الفلفلى — "[٢] .

وقال محمد بن الحسن : " إذا بلغ العسل خمسة أفراق ، ففيه العشر ، وإلا فلا . " ، والفرْق[٣] ستة وثلاثون رطلا فلفلية ، والخمسة أفراق مائة وثمانون رطلا فلفلية .

---

(١) الحسن بن صالح بن صالح بن حىّ من رجال الحديث ، مختلف فيه ، ولد سنة ١٠٠ هـ ، ومات سنة ١٦٩ ؛ انظر : « تهذيب التهذيب » .

(٢) لم أعثر فى المراجع على تعريف أو تقدير للرطل الفلفلى ، وأغلب الظن أن هذا النوع كان يستعمل لوزن الفلفل .

(٣) الفـرْق — كما جاء فى القاموس — مكيال بالمدينة يَسَعُ ثلاثة آصُع ، أو ستة عشر رطلا ، أو أربعة أرباع ؛ وجمعه فُرْقـان .

وقال أحمد بوجوب الزكاة فى العسل ، واحتج أصحاب أبى حنيفة لقولهم بما رُوى عن عطاء الخراسانى [1] أنّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لأهل اليمن فى العسل : " إن عليكم فى كل عشرة أفراق فَرْقاً " وَرَدُّ ذلك بأن عطاءً لم يدرك عمرَ . وقد رُوى أن عاملا لعمر — رضى الله عنه — على الطائف ، كتب إليه : « إن رجالا من فَهْم كلمونى فى خلاياهم ، أسلموا عليها ، وسألونى أن أحميها لهم . » ، فكتب إليه عمر : « إنما هو ذبابُ غيثٍ ، فإن [أدوا] زكاته فاحمه لهم . » ، وقوله : « إنما هو ذباب غيث » أى يكون مع الغيث ، يريد أنها تعيش بالمطر ، لأنها تأكل ماينبت عنه ، فإذا لم يكن غيث لم يكن لها ما تأكل ، فشبهها بالراعى والسائمة من النعم ، إذا لم يكن على صاحبها منها مؤونة وجب فيها الزكاة .

وقال ابن قتيبة فى كتاب « الغريب » ، وهذا الحديث (٤٣) خرّجه أبو داود ، ومن حديث عمرو بن شعيب [2] عن أبيه ، عن جده ، قال : " جاء هلال — أحد بنى متعان ؟ — إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشور نحل له ، وسأله أن يحمى له واديا يقال له سلبة [3] ، فحمى له رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الوادى ، فلما ولى عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — كتب سفيان بن وهب إلى عمر يسأله عن ذلك ، فكتب [إليه] عمر : " إن أدى إليك ما كان يؤدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من عشور

---

(١) عطاء بن أبى مسلم الخراسانى نزيل الشام ، مولى المهلب بن أبى صفرة ، ولد سنة ٥٠ ، ومات سنة ١٣٥ ؛ انظر : « تهذيب التهذيب » .

(٢) عمرو بن شعيب من التابعين ، سكن مكة ، وكان يخرج إلى الطائف ، مات سنة ١١٨ . « تهذيب التهذيب » .

(٣) جاء فى «معجم البلدان لياقوت» : «سلبة اسم لموضع ؟ ، جاء فى الأخبار» .

نحله ، فاحم له سلبة ، و إلا فإنما هو ذباب غيث ، يأكله من شاء . " ، واحتجوا بحديث الحارث بن عبد الرحمن بن سعد بن ذباب[١] ، عن منير[٢] بن عبد الله ، عن أبيه ، عن سعد بن أبى ذباب — رضى الله عنه — وكانت له صحبة ، أنه أخذ عشر العسل من قومه ، فأتى به عمر — رضى الله عنه — فجعله عمر فى صدقات المسلمين ، قال : " وقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلمت وبايعته ، فاستعملنى على قومى ، واستعملنى أبو بكر — رضى الله عنه — ، ثم استعملنى عمر — رضى الله عنه — من بعده فذكر الخبر ، وفيه : " قلت لعمر : يا أمير المؤمنين ما ترى فى العسل؟" قال : « خذ منه العشر » [و] قال « ضعه فى بيت المال . » ؛ وفى رواية : فقلت لقومى : « فى العسل زكاة ، فإنه لا خير فى مال لا يزكى » ، فقالوا : « كم ترى ؟ » فقلت : « العشر » ، فأخذته ، وأتيت به إلى عمر — رضى الله عنه — ؛ وردُّ هذا أيضا بأن منير بن عبد الله مجهول ، وأبوه مجهول ؛ وقد قال فيه بعض رواته عتيق بن عبد الله ، ولا يدرى من هو ، واحتجوا بما رُوى عن نعيم بن حماد[٣] ، عن بقية[٤] ، عن محمد بن الوليد الزبيدى ،

---

(١) الحارث بن عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد بن أبى ذباب المدنى ، محدث ، ذكره ابن حبان فى الثقات ، مات سنة ١٤٦ . « تهذيب التهذيب » .

(٢) جاء فى « ميزان الاعتدال » : « منير بن عبد الله عن أبيه حديث زكاة العسل ، ضعّفه الأزدى ، وفيه جهالة » .

(٣) نعيم بن حماد الخزاعى ، حافظ ومحدث ، ويقال إنه أول من جمع المسند ، خرج إلى مصر ، فأقام بها نيفا وأربعين سنة ، ثم أشخص من مصر فى خلافة « المعتصم » فسئل عن القرآن ، فأبى أن يجيب ، فحبس بسامرا حتى مات فى السجن فى جمادى الأولى سنة ٢٢٨ على الأرجح ؛ « ميزان الاعتدال » .

(٤) بقية بن الوليد ، محدث مختلف فيه ، تكاد تتفق المراجع على أنه « ثقة إذا حدث عن المعروفين ، ولكن له مشايخ لا يدرى من هم » ولد سنة ١١٠ ، ومات سنة ١٩٧ انظر : « ميزان الاعتدال » .

عن عمرو بن شعيب ، عن هلال بن مرة[١] ، أن عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — قال فى عشر العسل : " ما كان منه فى السهل ففيه العشر ، وما كان منه فى الجبل ففيه (٤٤) نصف العشر " ، ورُدَّ بأن بقية ضعيف ، وهلال بن مرة لا يدرى من هو .

وصَحَّ عن مكحول[٢] ، ومحمد بن شهاب الزهرى : " أن فى كل عشرة أزقاق زقاً " ؛ وعن الأحوص[٣] بن حكيم ، عن أبيه ، أنه قال : " فى كل عشرة أرطال رطل " . وعن سعيد بن عبد العزيز[٤] ، عن سليمان بن موسى[٥] : " فى كل عشرة أزقاق زق " — والزق يسع رطلين .

ورُوى عن عمر بن عبد العزيز زكاة العسل ، ولا يصح عنه ، واحتج من رأى زكاة العسل بحديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، قال : " جاء هلال إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ومعه عشور نحل له ، وسأله أن يحمى له واديا يقال له « سلب » ، فحماه له " . وبحديث عمرو بن شعيب ، قال : « كتب بعض أمراء الطائف إلى عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — : « إن أصحاب النحل لا يؤدون إلينا ما كانوا يؤدون إلى النبى — صلى الله عليه وسلم — ويسألون مع ذلك أن تحمى لهم أوديتهم ، فاكتب إلىَّ برأيك فى ذلك » ، فكتب إليه عمر : « إن أدوا إليك

---

(١) جاء فى « ميزان الاعتدال » : هلال بن مرة ... تفرد عنه عمرو بن شعيب بحديث فى زكاة العسل ، ليس بحجة » .

(٢) مكحول الدمشقى ، محدث الشام ، مات سنة ١١٣ . « الميزان » .

(٣) الأحوص بن حكيم الحمصى ، محدث ضعيف ، انظر ترجمته فى « الميزان » .

(٤) سعيد بن عبد العزيز التنوخى الدمشقى ، مفتى دمشق ، أحد الأئمة ، ثقة ، توفى سنة ١٦٧ . « الميزان » .

(٥) انظر ترجمته فى : « الميزان » .

ما كانوا يؤدون إلى النبى — صلى الله عليه وسلم — فاحم لهم أوديتهم ، و إن لم يؤدوا إليك ما كانوا يؤدونه إليه ، فلا تحم لهم » . قال : « وكانوا يؤدون إلى النبى صلى الله عليه وسلم عن كل عشرة قرب قربة » .

وعن عمرو بن شعيب أن عمر — رضى الله عنه — كتب : " فى العسل عن كل عشرة قرب قربة " . ورُدَّ بأن حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جـده ضعيف لا يصح ، واحتجوا بحديث عبد الله بن [أبى][1] محرز ، عن الزهرى ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة — رضى الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل اليمن : " أن يؤخذ من العسل العشر " . ورُدَّ بأن عبد الله بن محرز ساقط ، متفق على اطراحه ، واحتجوا بحديث سعيد بن عبد العزيز ، عن سليمان بن موسى أن أبا سيار النُسعى ؟قال للنبى —صلى الله عليه وسلم—: « إن لى نحلاً » [فقال له] : " فأدِّ منه العشر " ، ورُدِّ (٤٥) بأنه حديث منقطع لأن سليمان بن موسى لا يعرف له لقاء أحد من الصحابة — رضى الله عنهم أجمعين — .

واحتجوا بحديث ابن جريج ، قال : " كتبت[2] إلى ابراهيم بن سمرة أسأله عن زكاة العسل ، فذكر جوابه ، وفيه أنه قال : " ذكر لى من لا أتهم من أهلى أن عروة بن محمد السعدى قال له إنه كتب إلى عمر بن عبد العزيز يسأله عن صدقة العسل ، فرد إليه عمر : قد وجدنا بيان صدقة العسل بأرض الطائف ، فخذ منه العشور " ، ورُدَّ بأن حديث بن جريج منقطع ، فإنه عن من لم يُسَمِّ[3] ، وعورض قولهم بما رواه أبو بكر بن أبى

(١) الزيادة عن « الميزان » .

(٢) فى الاصل : « كتب » والسياق يقتضى هذا التصحيح .

(١) فى الاصل : « يسمى » .

شيبة ، « ثنا » وكيع عن سفيان ، عن ابراهيم بن ميسرة ، عن طاووس ، أن معاذ بن جبل — رضى الله عنه — لما أتى اليمن ، أتى بالعسل ، وأوقاص الغنم ، فقال : لم أومر فيها بشىء . وبحديث وكيع عن سفيان الثورى ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، قال : "بعثنى عمر بن عبد العزيز — رضى الله عنه — على اليمن ، فأردت أن آخذ من العسل العشر ، فقال المغيرة بن الحكم الصنعانى : « ليس فيه شىء » ، فكتبت إلى عمر بن عبد العزيز : « صَدَق ، هو عَدْلٌ رَضِىٌ » " .

فصـــل

كان سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبـد مناف يقال له عكة العسل — وكان غير طويل — وكان يُقال لمصعب بن الزبير آنية النحل — من كرمه — .

وحكى أن عبـد المؤمن [1] بن على القيسى الـكومى [2] ، القائم بدولة الموحدين ، أتباع أبى عبد الله محمد بن تومرت ، ببلاد المغرب ، نام ذات يوم بالنهار — وهو صبى — تجاه أبيه ، وأبوه قائم يعمل آنية الفخار ، فسمع

(١) بدأ ابن تومرت فذلل الصعاب ، وأعد الجيوش ، وبعد موته استعان عبد المؤمن بهذه الجيوش حتى فتح معظم مدن المغرب إلى أن استولى على مراكش فى سنة ٥٤٢ هـ ثم امتد ملـكه إلى المغرب الأقصى والأدنى وبلاد افريقية وكثير من بلاد الأندلس ، ولقب بأمير المؤمنين ، وتوفى فى العشر الاخير من جمادى الآخرة سنة ٥٥٨ هـ ، وكانت مدة ولايته ثلاثا وثلاثين سنة وأشهراً . انظر : (ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ، ص ٣١٠ — ٣١١) .

(٢) الـكومى نسبة إلى كومة ، وهى قبيلة صغيرة نازلة بساحل البحر من أعمال تلمسان ، وكان مولد عبد المؤمن فى قرية هناك يقال لها « تاجرة » .

أبوه دَوِيًّا فى (١) السماء ، فرفع رأسه ، فرأى سحابة سوداء من النحل قد هوت [مطبقة] (٢) على الدار ، فنزلت كلها مجتمعة على عبد (٤٦) المؤمن وهو نائم فغطته ، ولم يظهر من تحتها ، ولا استيقظ [لها] (٢) ، فرأته أمه على تلك الحال ، فصاحت (٣) خوفا على ولدها (٣) ، فسكتها أبوه ، فقالت : « أخاف عليه » ، فقال : « لا بأس عليه ، [بل] (٤) إنى متعجب مما يدل عليه ذلك (٥) » . ثم إنه (٦) غسل يديه [من الطين] (٦) ولبس ثيابه ، ووقف ينتظر (٧) ما يكون من أمر النحل ، فطار عنه بأجمعه ، واستيقظ الصبى وما به من ألم ، فتفقدت أمه جسده ، فلم تر به أثرا ، ولم يَشْكُ إليها ألماً ؛ وكان بالقرب منهم رجل معروف بالزجر (٨) ، فمضى أبو عبد (٩) المؤمن وأخبره بما رآه من النحل مع ولده فقال [الزاجر] (١٠) : " يوشك أن يكون له شأن (١١) ، ويجتمع على طاعته أهل المغرب " . فكان من أمر عبد المؤمن ما هو معروف .

---

(١) فى الأصل : « من » وماهنا عن : (ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٣١٠) ، حيث وردت هذه القصة فى ترجمة عبد المؤمن ، وعنها ينقل المقريزى ، وقد نقل هذه القصة أيضا بإيجاز ، الدميرى فى حياة الحيوان ، ج ٢ ، ص ٣٠٠ .

(٢) الزيادات عن ابن خلكان ، المرجع السابق ، نفس الجزء والصفحة .

(٣) فى الأصل : « فقامت وخافت عليه » ، وهذه صيغة ابن خلكان ، وقد فضلناها فهى المرجع الذى ينقل عنه المقريزى .

(٤) فى الأصل : « وإنى لمتعجب » ، وهذه صيغة ابن خلكان .

(٥) فى الأصل : « هذا » وماهنا عن ابن خلكان .

(٦) فى الأصل : « ثم غسل يده ولبس ثيابه » ، والتصحيح عن ابن خلكان .

(٧) فى الأصل : « ينظر » . وهذا لفظ ابن خلكان .

(٨) الزَّجْر العيافة والتكهن .

(٩) فى ابن خلكان : « فمضى أبوه » .

(١٠) الزيادة عن ابن خلكان .

(١١) فى متن الأصل : « شنا » ، وذكر إلى جانبها فى الهامش : « لعله شان » ولفظ « شان » هو الصحيح فقد ورد فى ابن خلكان .

ويقال أول من أوقد الشَمَع[١] ، واستصبح به جَذِيمةُ الأبرش[٢] ، وهو أيضاً أول [من] نصب المجانيق[٣] فى الحرب .

وأول من اتخذ الشمع الغلاظ التى فيها الأمنان[٤] الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ، ثم صالح بن[٥] على بن عبد الله بن عباس — رضى الله عنهما — بمصر . و إنما كانت لبنى أمية ، ومَنْ قبلهم من الملوك بالشام .

---

(١) الشَمَعُ أو الشَمْع ، والصواب كما ذكره صاحب القاموس التحريك لا التسكين ، وقد ذكر أنه لفظ مُوَلَّد ، وهو الذى يستصبح به ، أو هو موم العسل . وقد ذكر هذا الخبر ابن قتيبة فى كتابه : « المعارف ص ٢٤١ » .

(٢) فى الأصل : « الابرس » ، وهو خطأ .

(٣) المنجنيق — بفتح الميم وكسرها — ، أو المنجنوق ، أو المَنْجَميق ، والجمع مجانيق ومناجيق ، لفظ أعجمى معرب ، وهو آلة من آلات الحصار فى العصور الوسطى ، وقد وصفه صاحب صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ١٤٤ ، بأنه « آلة من خشب لها دَفَّتان قائمتان ، بينهما سهم طويل ، رأسه ثقيل وذنبه خفيف ، تجعل كِفة المنجنيق التى يجعل فيها الحجر يجذب حتى ترفع أسافله على أعاليه ، ثم يُرسل فيرتفع ذنبه الذى فيه الكِفَّة فيخرج الحجر منه ، فما أصاب شيئاً إلا أهلكه . » ، وانظر أيضا لتفسير اللفظ وأصله اللغوى : (الجواليقى ، المعرَّب من الكلام الأعجمى ، ص ٣٠٥ — ٣٠٧) ؛ وفى كتاب (آثار الأول فى ترتيب الدول للحسن بن عبدالله ، ص ١٩١ — ١٩٣) وصف واف ممتع للمنجنيق وطرق استعماله ؛ وانظر أيضا : (نعمان ثابت ، الجندية فى الدولة العباسية ، ص ١٩٠ — ١٩٣) .

(٤) المَنّ ، وجمعها أمنان ، وقد شرحها صاحب القاموس بأنها كيل أو ميزان أو رِطلان .

(٥) هو عم أبى العباس السفاح أول خلفاء العباسيين ، ولد بالسواد فى سنة ٩٦ ه ، وهو الذى تتبع مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية بمصر حتى قضى عليه فى ذى الحجة ١٣٢ ه ، ثم كان أول من ولى مصر من قبل العباسيين ، وليها سبعة أشهر وأياما ، وأنشأ بمصر مدينة العسكر إلى الشمال الشرقى من الفسطاط ، ثم وليها ثانية من قبل السفاح وأبى جعفر المنصور (من ٥ ربيع الآخر سنة ١٣٦ إلى ٤ رمضان سنة ١٣٧) ثم ولى الشام بعد ذلك لأبى جعفر ، ومات بها ، انظر : (أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ج ١ ، ص ٣١٧ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣١ . الخ وابن قتيبة ، المعارف ، ص ١٦٣) .

سوى[١] الوليد — شمعٌ فى الشمعة منها الرطل ، والثلاثة الأرطال ، وكانت لها أتوار صغار ، فى التور[٢] منها شوكة تكون الشمعة فيها ، أو مسرجة[٣] عليها شوكة .

وكتب أبو بكر محمد بن عمر ، وابن حزم إلى عمر بن عبد العزيز ، وهو عامله على المدينة : " إنّ منْ قبلى من الأمراء كان يجرى عليهم رزق الشمع " . فكتب إليه : " إنك طال ما مشيت فى طرق المدينة بلا شمع يُمشى به بين يديك ، فاعرض عن هذا ، ولا تعاودنى فيه " .

وكانت ملوك بنى أمية تستصبح بالزيت فى القناديل ، ويمشى بين أيديهم[٤] بالشمع الطوال ، الذى طول الواحدة منها ثلاثة أشبار ؛ وكان مَنْ دونهم يستعملون من الشمع القناديل المثنىّ (٤٧) بعضها على بعض ، فلما كان زمن يزيد بن عبد الملك اتخذ له من الشمع الطوال ما فيه ستة أرطال ، وأكثر من ذلك ، ثم أسرف الوليد بن يزيد بن عبد الملك فى استعماله الشمع فى مجالسه[٥] ؛ ولم يكن أبو جعفر المنصور يستصبح إلا بالزيت فى القناديل ، وربما خرج إلى المسجد ومعه من يحمل سراجا بين يديه[٦] ؛

(١) فى الأصل : « وسوى » وقد حذفت الواو ليستقيم المعنى .

(٢) فى الأصل : « الثور » وهو خطأ ، وقد ذكر فى القاموس أن « التور » إناء يُشرب فيه ، وهذا أقرب إلى المعنى المقصود هنا ، أى أن هذه الأتوار كانت آنية توضع فيها الشموع .

(٣) فى الأصل : « مرجة » .

(٤) فى الأصل : « أيديهما » .

(٥) فى الأصل : « مجالسة » .

(٦) فى الأصل : « أيديهم » .

ثم إنه حُمل بين يديه ما فيه الرطل والمَنُّ من الشمع ، وكان إذا أراد قراءة الكتب وكتابتها أحضر معه شمعة فى تور ، ثم تُرفع إذا فرغ .

ولما زُفّتْ بوران[١] بنت الحسن بن سهل[٢] على الخليفة المأمون[٣] عبد الله بن هارون الرشيد أُوقد على المأمون فى تلك الليلة شمعة عنبر وزنها أربعون منا ؛ وكان ثمن الشمع فى أيام المتوكل[٤] جعفر بن محمد المعتصم فى كل سنة ألف ألف ومائتى ألف درهم .

وحكى الصابى عن بعض الرسل قال : "ذهبنا إلى باب مسعود[٥] — يعنى[٦] محمود بن سبكتكين[٧] بغزنة — فشاهدنا بالباب أصناف العساكر ، وملوك جرجان ، وطبرستان ، وخراسان ، والهند ، والسند ، والترك ، وقد

---

(١) هى خديجة بنت الحسن بن سهل — وزير المأمون — ، وتسمى أيضا بوران ، وقد تزوجها المأمون فى شعبان سنة ٢٠٩ هـ ، وفى المراجع المختلفة وصف شائق للبذخ والترف والمال الذى صرفه كل من الخليفة ووزيره فى حفلات هذا الزواج ، انظر مثلا : (المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٣٥١ — ٣٥٢) و (الطبرى طبعة دى غويه ، ٢ ، ١٠٨٣ — ١٠٨٤) و (ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ١١٦) .

(٢) انظر أخبار وزارته فى : (ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ٢٠٣ — ٢٠٥) .

(٣) مدة حكمه هى : (١٩٨ — ٢١٨ = ٨١٣ — ٨٣٣ م) .

(٤) مدة حكمه هى : (٢٣٢ — ٢٤٧ = ٨٤٦ — ٨٦١) .

(٥) هو أحد ملوك الدولة الغزنوية التى حكمت أفغانستان والبنجاب من ٣٥١ إلى ٥٨٢ (٩٦٢ — ١١٨٦) وقد حكم مسعود من سنة ٤٢١ إلى سنة ٤٣٢ (١٠٣٠ — ١٠٤٠) ؛ انظر : Lane-Poole. Mohammadan Dynasties. p.p. 285—290.

(٦) هذا التعبير غير صحيح لأن مسعود ومحمود ليسا شخصا واحدا ، وإنما كان مسعود أخا لمحمود وقد تولى الحكم بعده . انظر : (الوفيات لابن خلكان ، ترجمة محمود بن سبكتكين) .

(٧) فى الأصل : « نسكتكين » ومدة حكم محمود الغزنوى هى : (٣٨٨ — ٤٢١ = ٩٩٨ — ١٠٣٠) ؛ انظر : المرجع السابق .

أقيمت الفيلة عليها الأسرة[(١)] ، والعَمَاريّات[(٢)] الملبسة بالذهب ، المرصعة بأنواع الجواهر ، وإذا بأربعةِ آلافِ غلامٍ مُرْدٍ وقوفٍ [حول] سماطين[(٣)] ؛ وفى أوساطهم مناطق[(٤)] الذهب وبأيديهم أعمدة الذهب ، ومسعود جالس على سرير من الذهب لم يوضع على الأرض مثله ، وعليه الفُرش الفاخرة ؛ وعلى رأسه تاج مرصع بالجواهر واليواقيت ، وقد أحاط به الغلمان الخواص بأكمل زينة ؛ ثم قام مسعود إلى سماط من فضة ، عليه خمسون خِواناً[(٥)] من الذهب ، على كل خوان خمسة أطباق (٤٨) من ذهب فيها أنواع الأشربة ، فسقاهم الغلمان ، ثم قام مسعود إلى مجلس عظيم الأقطار (؟) فيه ألف دَسْت[(٦)] من الذهب ، وأطباق كبار حسن ، وآنية فيها الكيزان[(٧)] ،

---

(١) السرير التخت ، ويغلب على تخت الملك ، سمى به لأن من جلس عليه من أهل الرفعة والجاه يكون مسرورا ، والجمع : أسِرَّة ، وسُرُر . « محيط المحيط » .

(٢) العمارية هودج يجلس فيه . « محيط المحيط » .

(٣) فى الأصل : « مردوفون سماطين » ، وما هنا قراءة ترجيحية .

(٤) جاء فى (محيط المحيط) : « قال فى المصباح : المِنْطقة اسم لما تسميه العامة الحياصة ، ومنها الفعل تمنطق أى لبس المنطقة . . . والنطاق أيضا ما يشد به الوسط ، وشقة تلبسها المرأة وتشدّ وسطها ، وجمعها نُطُق » .

(٥) الخِوَان والخُوان ما يوضع عليه الطعام ليؤكل ، وفى فقه الثعالبى : لا يقال مائدة إلا إذا كان عليها طعام ، وإلا فهى خوان ، وعليه جرى شارح المقامات ، قال : الخوان مايوضع عليه الطعام ، وبعد وضع الطعام عليه يسمى مائدة ؛ وهو فارسى معرب ، وجمعه أخونة وخُوُن . (محيط المحيط) .

(٦) جاء فى (محيط المحيط) : « الدست الصحراء واللباس والوسادة والورق ، وصدر البيت والمجلس ، وهى فى الأصل فارسية ، أخذتها العرب وتصرفت بها ، والجمع دسوت » ثم قال : « والدست عند العامة المرجل الكبير من النحاس » وهذا المعنى الأخير هو ما يؤديه اللفظ هنا فى المتن .

(٧) الكوز إناء من فخار له عروة وبلبل ، أو هو أصغر من الإبريق ، فارسية =

وعلى كل طبق زرافة ذهب ، وأطباق ذهب عليها المسك والعنبر والكافور ، وأشجار الذهب مرصعة بالذهب واليواقيت وشموع فى رأس كل شمعة قطعة من الياقوت الأحمر تلمع لمعان النار ، وأشجار العود قائمة بين ذلك ؛ وفى جوانب المجلس بحيرة فى جوانبها من الجواهر والعنبر والفصوص واللؤلؤ شَجَرٌ يقصر الوصف عنه . وذكر (أى الصابى) أشياء أخر .

ولما زفت قطر الندى[1] بنت الأمير أبى الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون على الخليفة المعتضد بالله[2] أبى العباس أحمد بن الموفق أبى أحمد طلحة بن المتوكل ، وقد حملها إليه أبوها من مصر إلى بغداد بجهاز جليل القدر إلى الغاية ، قال المعتضد : " أكرموها بشمع العنبر " ، فوجد فى خزائنه أربع شمعات من عنبر فى أربعة أتوار فضة ، فلما كان وقت العشاء جاءت قطر الندى إليه وقدامها أربعمائة وصيفة ، فى يد كل وصيفة منهن تور ذهب أو فضة ، وفيه شمعة عنبر ، فقال المعتضد : " اطفوا شمعنا واسترونا " .

= والجمع كيزان ، وأكواز ، وكوزة ؛ ومنها الفعل : يكوز كوزا إذا شرب بالكوز . (محيط المحيط) .

(١) كان العداء مستحكما بين أحمد بن طولون وأبى العباس أحمد بن الموفق طلحة أثناء ولايته العهد — فلما توفى أحمد بن طولون ، وولى أبو العباس الخلافة ، ولقب بالمعتضد تحسنت العلاقات بينه وبين خمارويه بن أحمد بن طولون ، وتزوج الخليفة من قطر الندى بنت خمارويه فى سنة ٢٨١ ، « ويقال إن المعتضد أراد بزواجها أن يفقر أباها خمارويه فى جهازها ، وكذا وقع ، فإنه جهزها بجهاز عظيم يتجاوز الوصف » . انظر أخبار هذا الزواج مفصلة فى : « النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ٥٣ ، ٦١ — ٦٣ ، ٧٢ ، ٨٠ ، ٨٧ ، ٩١ . . . إلخ » .

(٢) مدة حكمه : « ٢٧٩ — ٢٨٩ = ٨٩٢ — ٩٠٢ » .

ولما ماتت عبدة ورشيدة[1] ابنتا المعز لدين الله[2] أبى تميم معدّ بن المنصور أبى الطاهر[3] إسماعيل الفاطمى ختم على مقاصير[4] كل واحدة منهما ، وعلى صناديقهما ، وما يجب أن يختم عليه من موجودهما بأربعين رطلا من المشمع ، وكُتب موجود عَبْدَة فى ثلاثين رزمة ورق .

وكان راتب محمد بن بقيـة[5] — وزير عز الدولة بختيار بن معز الدولة أحمد بن بويه — من الشمع فى كل شهر ألفى[6] مَنّ ، ومن (٤٩) الثلج فى كل يوم ألف رطل .

---

(١) ولدتا فى رقادة من عمل القيروان ، وماتت رشيدة أولا ثم لحقتها عبدة بعد ثلاثة أيام (كانت وفاتهما سنة ٤٤٢) وذكر أبو المحاسن خطأ أنهما توفيتا فى عهد الحاكم بأمر الله (انظر : النجوم ، ج ٤ ، ص ١٩٣) والصحيح أن وفاتهما كانت فى عهد المستنصر لأن الحاكم توفى سنة ٤١١ ، وبصحح خطأ أبى المحاسن قول المقريزى فى فى الخطط : « . . وكان من ولى من الخلفاء ينتظرون وفاتها (أى رشيدة) فلم يقض ذلك إلا للمستنصر » ، وقد خلفت هاتان السيدتان تركة غنية جدا بالملابس والحلى والتحف والأوانى . . إلخ ، وقد أسهب فى تعدادها ووصفها : (المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٦٤ ؛ وأبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ١٩٣) .

(٢) مدة حكمه : (٣٤١ — ٣٦٥ = ٩٥٢ — ٩٧٥) .

(٣) فى الأصل : « الظاهر » .

(٤) المقصورة الدار الواسعة المحصنة ، أو هى أصغر من الدار ، ولا يدخلها إلا صاحبها ومقصورة الدار حجرة من حجرها ، وعند المولدين هى حجرة صغيرة مرتفعة ، ومقصورة المسجد مقام الإمام . (محيط المحيط) .

(٥) هو الوزير أبو الطاهر محمد بن بقية بن على الملقب نصير الدولة ، كان فى أول أمره صاحب مطبخ معز الدولة البويهى ، ثم ترقى إلى أن وزر لابنه عز الدولة بختيار فى سنة ٣٦٢ ، وفى سنة ٣٦٧ حدث نزاع بين عز الدولة وابن عمه عضد الدولة فقتل الأول ، وقبض عضد الدولة على ابن بقية وشهّر فى بغداد وعلى رأسه برنس ، ثم أمر به أن يطرح تحت أرجل الفيلة حتى قتلته ، ثم صلب وظل مصلوبا حتى مات عضد الدولة ، وفيه قال أبو الحسن بن عمر الأنبارى مرثيته المشهورة (انظر الأشعار الواردة فى الفصل الأخير من هـذا الـكتاب ؛ وابن خلـكان ، الوفيات ؛ والنجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٦٦ ، ١١٠ ، ١٣٠) .

(٦) فى : (ابن خلكان ، الوفيات ، والنجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص٦٦) : « ألف » .

وفى سـنة اثنين وثمانين وستمائة قدم عبد الرحمن الشيرازى ، والأمير صمداغوا[١] الطظرى ، والصاحب شمس الدين محمد بن الصاحب شرف الدين التيتى [وزير صاحب ماردين ، وجماعة فى صحبتهم نحو مائة وخمسين نفراً][٢] برسالة الملك أحمد[٣] أغا سلطان [بن] هولاكو إلى البـيرة ، وعلى رأس الشيخ عبد الرحمن الجِتْر — كما هى عادته فى بلاد التـتر — فخرج إلى لقائهم من أمراء حلب الأمير جمال الدين آقش[٤] الفارسى ، ومُنع عبد الرحمن من حمل الجِـتْر[٥] على رأسه ، ومن حمل السلاح أيضاً ، وعُدل بهم عن[٦] الطريق [المسـلوك إلى أن أدخلهم حلب ثم إلى][٧] دمشق فى ليلة[٨] الثلاثاء ثانى عشر[٨] ذى الحجة من غير أن يراهم أحد فى مسـيرهم ؛ ولا وقت قدومهم ، [و] لما نزلوا بقاعة رضوان من القلعة ؛ أجرى لهم فى كل يوم ألف درهم سوى الحلوى والفاكهة وغير ذلك من أنواع المأكل ،

---

(١) فى الأصل « صمداعو » ، والتصحيح عن : (النويرى ، نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٨١).

(٢) الزيادة عن : (النويرى ، المرجع السابق) ؛ انظر أيضا : (المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٧١٧ ، هامش ١) .

(٣) هو الثالث من ملوك دولة المغول الفارسية ، وقد حكم من سنة ٦٨٠ إلى ٦٨٣ (١٢٨١ — ١٢٨٤) انظر : Lane-Poole. Op. Cit. P. 220 :

(٤) فى الأصل « آقوش » ، والتصحيح عن السلوك ، نفس الجزء والصفحة .

(٥) الجِـتر لفظة فارسية معناها المظلة ، عرفها (القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٧ ، ٨) بأنها قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب ، على أعلاها طائر من فضة ، مطلية بالذهب ، تحمل على رأس السلطان فى العيـدين ، وهى من بقايا الدولة الفاطمية . انظر : (نفس المرجع ، ج ٣ ، ص ٤٦٩ ؛ ومحيط المحيط) .

(٦) فى الأصل « من » والتصحيح عن السلوك .

(٧) فى الأصل: «فى مسيرهم حتى قدموا» وهذه صيغة السلوك وهى أكثر وضوحا.

(٨) فى الأصل : « الثلاث ثانى عشرى » والتصحيح عن السلوك .

وهى ألف درهم أخرى ؛ فقدم الخبر[١] بقتل [القان تكدار ، ويدعى][٢] أحمد أغا [سلطان بن هولاكو][٢] ، وتملك أرْغون[٣] بن أَبَغا بن هولاكو [من] بعده فسار السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون[٤] الألفى من قلعة الجبل بديار مصر إلى دمشق ، فقدمها يوم السبت ثانى عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين وستمائة ، ونزل بقلعتها ؛ وألبس فى تلك الليلة ألفا وخمسمائة مملوك أقبية[٥] من حرير أطلس أحمر بطُرز ، وعلى رؤوسهم كلفتات[٦] زركش ، و بأوساطهم حوائص[٧] ذهب ، وأشعل بين يديه

---

(١) فى الأصل : « الجتر » .

(٢) الزيادات عن : (السلوك ، ج ١ ، ص ٧٢٢) .

(٣) هو رابع ملوك دولة المغول بفارس ، وقد حكم من سنة ٦٨٣ إلى ٦٩٠ (١٢٦٤ — ١٢٩١) ، انظر : Lane-Poole. Op. Cit. P. 220—221 .

(٤) هو ثامن سلاطين دولة المماليك الأولى بمصر وقد حكم من سنة ٦٧٨ إلى ٦٨٩ (١٢٧٩ — ١٢٩٠) انظر : Lane-Poole. Op. Cit. P. 81 .

(٥) جاء فى (محيط المحيط) أن القَبَاء — بفتح القاف — ثوب يلبس فوق الثياب ، وقيل يلبس فوق القميص ، ويتمنطق عليه ، جمعه أقبية ، ومنه الفعل : قبا الثوب يقبوه قبوا أى جعل منه قباء ؛ والقباء — بكسر القاف — المقدار ؛ وقد كان فخر الدين بن شيخ الشيوخ — أحد كبار رجال الدولة فى عهد الملكين الكامل والصالح الأيوبيين — أول من ترك لبس العمامة ولبس الشربوش والقباء . انظر : (السلوك ، ج ١ ، ص ٢٦١) .

(٦) الكلفتاة ، وتسمى أيضا (كلفة وكلفتة وكلوتة) نوع من غطاء الرأس تلبس وحدها أو بعمامة ، وقد اختلفت الآراء فى تحديد أصل هذه الكلمة ، وهى تتلخص فى أنها أخذت عن الفرنسية (Calotte) أو اللاتينية (Calva) أو الفارسية (كلوتة) ، ولبيان بدء استعمال الكلفتاة فى مصر فى العصر الأيوبى وتطور هذا الاستعمال فى عهد المماليك انظر : (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٥ ، ٦ ؛ والمقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٤٩٣ ، هامش ١ .

(٧) فى الأصل : « حرائر » والتصحيح عن : (السلوك ، ج ١ ص ٧٢٣) ، وفى (محيط المحيط) : الحياصة سير يشد به حزام السرج ، ويفهم من اللفظ هنا ، ومن استعمالاته المختلفة فى العصر المملوكى أنه كان نوعا من الحزام .

ألفا وخمسمائة شمعة موكبية كبيرة ، بيد كل منهم شمعة ، واستدعى[١] [الشيخ] عبد الرحمن ورفقته ، [فقدموا للسلطان تحفا منها نحو ستين حبل لؤلؤ كباراً ، وحجر ياقوت أصفر زنته ما ينيف على مائتى مثقال ، وحجر ياقوت أحمر ، وقطعة بلخش زنتها اثنان وعشرون درهما][٢] وأدوا رسالة [الملك][٢] أحمد أغا ، وعادوا إلى موضعهم ، ثم استدعى [السلطان] كلا منهم ثانيا [واستعادهم كلامهم][٢] وردهم إلى مكانهم ، وأحضرهم مرة ثالثة ، وسألهم عن أشياء ، [فلما علم ما عندهم][٢] أخبرهم (٥٠) بقتل من أرسلهم ، وقيام أرغون [بن أبغا][٢] مِنْ بعده ، وأعادهم إلى قاعة رضوان ؛ ثم نقلهم منها ، [[٣] واقتصر من راتبهم على قدر الكفاية ، وطولبوا بما معهم من المال لأحمد أغا ، فأنكروا أن يكون معهم مال ؛ فتوجه إليهم شمس الدين سنقر الأعسر[٤] الاستادار ، وقال : " قد رسم السلطان بانتقالكم إلى غير هذا المكان ، فليجمع كل أحد قُمَاشه[٥] " ، فقاموا يحملون أمتعتهم ، وخرجوا ، فأوقفهم فى دهليز الدار وفتشهم ، وأخذ منهم

---

(١) فى الأصل : «واستدعوا» ، والتصحيح والزيادة عن : (السلوك ، ج ١ ، ص ٧٢٣) .

(٢) الزيادات عن المرجع السابق ، ج ١ ص ٧٢٣ .

(٣) فى الأصل : « وأخذ ما معهم ، ومن جملته سبحة لؤلؤ قيمتها مائة ألف درهم ، وشىء كثير ما بين ذهب ولؤلؤ . . » وهذه الصيغة التفصيلية عن المرجع السابق .

(٤) انظر أخباره فى : (السلوك ج ١ ، ص٧٢٣ ، ٧٥١ ، ٧٥٤ ، ٧٥٩ ، ٧٦٤ . . . إلخ) .

(٥) جاء فى (محيط المحيط) : قماش البيت متاعه ، والقماش عند المولدين ما نسج من القطن ، وقمش القماش يقمُشه قمشا جمعه من ههنا وههنا .

جملة كبيرة من الذهب واللؤلؤ ونحوه : منها سبحة لؤلؤ كانت للشيخ عبد الرحمن قوِّمت بمائة ألف درهم[٣]] ، واعتقلوا حتى مات عبدالرحمن فى ثامن عشر[ى] شهر رمضان [بالسجن ، وضُيِّق على البقية ثم أطلقوا ، ما خلا الأمير شمس الدين محمد] بن التيتى فإنه نقل إلى قلعة الجبل [بمصر واعتقل بها] .

وفى سنة إحدى وتسعين وستمائة ركب السلطان صلاح الدين خليل[١] ابن قلاوون من قلعة الجبل إلى دمشق ، ثم خرج فى [الثلث الآخر من][٢] ليلة الثلاثاء تاسع شوال [من دمشق عائداً إلى مصر][٢] بعد ما رسم لجميع أهل الأسواق أن يخرج كل واحد منهم [و] بيده شمعة موكبية قد اشتعلت ، فامتثلوا ذلك ، ووقفوا من باب النصر إلى مسجد القدم ، فعندما ركب ركب السلطان أشعلت تلك الشموع دفعة واحدة ؛ فسار بينها حتى نزل مخيمه فكانت من الليالى المذكورة ، والوقودات المشهورة .

وفى ليلة الجمعة حادى عشر شعبان سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة كان زفاف ابنة الأمير سيف الدين تَنْكِز[٣] نائب الشام على الأمير آنوك[٤] ابن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد ما أقام المهم سبعة أيام بلياليها ، وحضره نساء الأمراء بأجمعهن ؛ وجلس السلطان فى ليلة السابع على باب

---

(١) حكم من سنة ٦٧٩ إلى ٦٨٩ (١٢٧٩ — ١٢٩٠) .

(٢) الزيادات عن : (السلوك ، ج ١ ، ص ٧٨٠) .

(٣) انظر أخباره فى : (السلوك ، ج ٢ ، ص ١١٨ ، ١٢٧ ، ١٣٧ — ١٣٩ ، ١٤٢ — ١٤٤ ، ١٧٢ ، ١٨١ ، ١٩٥ . . . إلخ) .

(٤) انظر أخباره فى : (السلوك ، ج ٢ ، ص ٢٣٢ ، ٢٤٢) .

القصر من قلعة الجبل ، وتقدم الأمراء على [قدر](١) مراتبهم واحداً بعد واحد لعرض شموعهم التى يقدمونها ، فكان الأمير منهم يقبل الأرض ويتأخر فيقدم شموعه ، [وما زال السلطان بمجلسه](٢) حتى انتهوا ، [وانقضت تقادمهم](٢) فكانت [عدتها ثلاثة آلاف وثلاثين شمعة ، زنتها](٣) ثلاثة آلاف قنطار وستون قنطاراً ، وفى تلك الشموع ما اعتنى به ، ونُقِش نقشاً بديعا(٤) تَنَوَّع صناعه فى تحسينه ، و بالغوا فى التأنق فيه ،

---

(١) ذكر المقريزى هذا الزواج وحفلاته فى كتابه السلوك ، ج ١ ، ص ٣٤٥ — ٣٤٦ مع اختلاف يسير فى الصيغة ، فهو يوجز عن الصيغة المثبتة هنا أحيانا ويطيل أحيانا أخرى ؛ وسنقارن هنا بين الصيغتين لنثبت ما يوضح المعنى أو يكمله كهذا اللفظ المنقول بين حاصرتين .

(٢) الزيادات عن : (السلوك ، ج ١ ، ص ٣٤٥) .

(٣) فى الأصل : « فكانت زنة شمعهم المحضر فى تلك الليلة ثلاثة آلاف .. الخ والتعديل والزيادات عن : (السلوك ، ج ١ ، ص ٣٤٥ — ٣٤٦) .

(٤) كانت الشموع هى وسيلة الإضاءة الفاخرة فى مصر — بل وفى سائر بلدان العالم — فى العصور الوسطى ، ولهذا كان يفتن صانعوها فى عملها وتلوينها ونقشها ، كما ذكر المقريزى فى المتن هنا ، وكما ذكر أيضا فى : (الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٥ — ٢٦) عند كلامه عن عيد ميلاد المسيح — عليه السلام — وكيف كان يحتفل به المصريون ، فقد قال : « وأدركنا الميلاد بالقاهرة ومصر وسائر إقليم مصر موسما جليلا يباع فيه من الشموع المزهرة بالأصباغ المليحة ، والتماثيل البديعة بأموال لا تنحصر فلا يبقى أحد من الناس حتى يشترى من ذلك لأولاده وأهله ، وكانوا يسمونها الفوانيس واحدها فانوس ، ويعلقون منها فى الأسواق بالحوانيت شيئا يخرج عن الحد فى الكثرة والملاحة ، ويتنافس الناس فى المغالاة فى أثمانها ، حتى لقد أدركت شمعة عملت فبلغ مصروفها ألف درهم وخمسمائة درهم فضة . . . » ؛ انظر أيضاً : (السلوك ، ج ٢ ، ص ٢١٠ — ٢٢١) ؛ وكان للشمع سوق خاصة به فى القاهرة تسمى « سوق الشماعين » وصفها المقريزى فى (الخطط ، ج ٢ ، ص ١٥٦) وصفا شائقا ، جاء فيه : « . . وأدركت سوق الشماعين من الجانبين معمور الحوانيت بالشموع الموكبية ، والفانوسية ، والطوافات ، لا تزال حوانيته مفتحة إلى نصف الليل ، . . . وكان يباع فى هذا السوق فى كل ليلة من الشمع بمال جزيل ، وكان يعلق بهذا السوق الفوانيس فى =

[فكان أبهجها وأحسنها شمع الأمير علم الدين سنجر الجاولى[(١)] ، فإنه اعتنى بأمرها ، و بعث إلى عملها بدمشق ، فجاءت من أبدع شىء][(٢)] .

ثم جلس السلطان [فى ليلة الجمعة حادى عشر شعبان — وهى][(٣)] ليلة العرس — ، [على باب القصر][(٣)] ، وأُشعلت [تلك الشموع][(٣)] . بأسرها بين يديه ، وقد (٥١) أجلس ابنه[(٤)] [الأمير] آنوك تجاهه ، فأقبل الأمراء [جميعا] ، وكل أمير يحمل بنفسه شمعة ، ومن خلفه مماليك يحملون[(٥)] بقية شمعه ، ويتقدم واحد بعد واحد — على قدر رتبته — وهو يقبل الأرض ، فما تمّ مرور آخرهم حتى مضى معظم الليل ، فنهض السلطان ، وعبَر إلى حيث مجتمع النساء ، فقامت نساء الأمراء بأسرهن ، وقبّلن الأرض واحدة بعد واحدة ، وقدّمن ما آتينَ به من التحف الفاخرة والنقوط ، حتى [انقضت تقادمهن جميعا][(٦)] ثم [رسم السلطان برقصهن][(٧)]

موسم الغطاس فتصير رؤيته فى الليل من أنزه الأشياء ، وكان به فى شهر رمضان موسم عظيم لكثرة مايشترى ويكترى من الشموع الموكبية التى تزن الواحدة منها عشرة أرطال فما دونها ، ومن المزهرات العجيبة الزى المليحة الصنعة ، ومن الشمع الذى يحمل على العَجَل ، ويبلغ وزن الواحدة منها القنطار وما فوقه ... إلخ » .

(١) أنظر بعض أخباره فى : (السلوك ، ج ١ ، ص ٨٧٢ ، ٨٧٤ ، ٩٣٧ ، ٩٤٠ ، ٩٥٤) .

(٢) الزيادات عن المرجع السابق .

(٣) الزيادات عن : (السلوك ، ج ١ ، ص ٣٤٦) .

(٤) فى الأصل : « ابنة » .

(٥) فى الأصل : « يحملن » .

(٦) فى الأصل : « حتى انتهين) ، وهذه صيغة السلوك ، نفس الجزء والصفحة .

(٧) فى الأصل : « ثم فمن يرقصن عن آخرهن واحدة . الخ » وهذه صيغة السلوك .

عن آخرهن ، [فرقصن أيضا] واحدة بعد أخرى ، والمغانى تزفهن[١] ، وأنواع المال من الذهب والفضة ، وشقق[٢] الحرير تلقى على المغنيات[٣] ، فحصل لهن من ذلك ما يجل وصفه ؛ [ثم زُفّت العروس][٤] .

ثم جلس السلطان من [بكرة][٥] الغد ، وخلع على جميع الأمراء ، و بعث إلى نسائهم ، كل واحدة بتعبية[٦] قماش على مقدار [منزلة][٥] زوجها ، [وخُلع على الأمير تنكز نائب الشام ، وجهز صحبتـه الخلع لأمراء الشام][٥] ، فـكان هـذا العرس من الأعراس العظيمة[٧] ، ذبح فيه من الخيـل[٨] ، والبقر ، والغنم ، والأوز ، والدجاج ما يزيد على عشرين ألف حيوان ، وعُمل فيه من السكر بقصـد الحلوى والمشروب ثمانية عشر ألف قنطار ؛ وكانت شورة العروس التى حملها أبوها [الأمير] تنكز معها ألف ألف دينار مصرية[٩] .

---

(١) فى السلوك : والمغانى تضربن بدفوفهن » .
(٢) فى الأصل : « شقاق » ، والتصحيح عن السلوك .
(٣) فى الأصل : « المغانى » ، والتصحيح عن السلوك .
(٤) الزيادة عن السلوك .
(٥) الزيادات عن السلوك .
(٦) العَـبِيّ النصيب . (محيط المحيط) .
(٧) فى السلوك : « المذكورة » .
(٨) هذه إشارة لطيفة إلى أن المماليك كانوا يأ كاون لحم الخيل ، أنظر أيضا : السلوك ج ١ ، ص ٢٨٨ ، ٣٤٦ » .
(٩) هذا الوصف الرائع يعطينا صورة حية لبعض نواحى الحياة الاجتماعية فى مصر فى عصر المماليك ، فهو نموذج لحفلات العرس فى قصور سلاطين المماليك وما كانت تمتاز به من بذخ وترف .

وذكر القاضى شهاب الدين[1] أحمد بن القاضى محيي الدين يحيي بن فضل الله العمرى فى كتاب « مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار » عند ذكر مدينة « ذِلة » من بلاد الهند ، ما نصه : " وأما العسل فأكثر من الكثير ، وأما الشمع فلا يوجد إلا فى دور السلطان ، ولا يُسمح فيه لأحد " ، والله أعلم بالصواب ، و إليه المرجع والمآب .

***

ومِنْ جيِّد ما قيل فى الشمعة قولُ الموفق أبى الحجاج يوسف بن محمد ابن الخلال[2] (٥٢) صاحب ديوان الإنشاء بمصر :

وصحيحةٍ بيضاءَ تُطْلِعُ فى الدُّجى[3]
صُبْحًا ، وتَشْفى الناظرين بدائها
شَابَتْ ذَوَائبُها أوانَ شَبَابِهَا
واسوَدّ مَفْرِقُها أوَانَ فَنَائها
كالعين فى طبقاتها ودموعها
وسوادِها و بياضِها وضيائها

(١) تولى أبناء فضل الله أمر ديوان الإنشاء فى مصر فى عهود سلاطين المماليك من أبناء المنصور قلاوون ، وقد تولى شهاب الدين هذا الديوان — بالاشتراك مع أبيه محيي الدين — فى عهد الناصر محمد ، ثم استقل به . انظر : (صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٩٧ — ٩٩) .

(٢) فى الأصل : « خلال » ، وقد تولى ابن الخلال ديوان الإنشاء بمصر فى عهد الخليفة الفاطمى الحافظ ، وظل يتولاه حتى أيام العاضد ، وبه تخرج القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى ، ولما طعن ابن الخلال فى السن وعجز عن الحركة انقطع فى بيته إلى أن توفى فى الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٥٦٦ . انظر : (الوفيات لابن خلكان ، وصبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٩٦) .

(٣) فى الأصل : « الدجا » .

ولما نزل أبو على الأعصم بن أبى منصور (١) أحمد بن أبى سعيد الحسن بن بهرام الجنابى القرمطى إلى الرملة ، وقد قدم من الأحساء لحرب جوهر القائد لسنة ستين (٢) وثلاثمائة أحضر إليه الفراشون فى بعض الليالى الشموع على العادة ، فقال لكاتبه أبى نصر بن كُشاجِم (٣) : "ما يحضرك فى هذه الشموع ؟" ، فقال : "إنما نحضر مجلس السيد لنسمع من كلامه ، ونستفيد من أدبه" ، فقال الحسن بن أحمد بديها :

وبجدولةٍ مثل صدر القنا تعرَّت ، وباطنُها مكتسى

لها مقلةٌ هى رُوحٌ لها وتاجٌ على هيئة البُرْنُسِ (٤)

إذا غازلتها الصَّبا حرَّكتْ لِسَاناً من الذهب الأمْلَسِ

وإن رُقِّقَتْ (٥) لنعاسٍ عَرَا وقُطِّتْ مِنَ الرأس لم تَنْعَسِ

(١) فى (النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٧٤) : « ابن أبى سعيد » ، وقد توفى الحسن الأعصم فى سنة ٣٦٧ ، انظر (المرجع السابق ، ص ١٢٨) .

(٢) فى الأصل : « ست وستين » والتصحيح عن : (ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ٢٤٢ — ٢٤٣) .

(٣) فى الأصل : « كشاجم » وهو أبو الفتح محمود بن محمد بن الحسين بن شاهق — أو شاهك — ذكر (الحصرى ، جمع الجواهر فى الملح والنوادر ، ص ١٠٧) أنه « سمى نفسه كشاجم لما يعلمه ، فالكاف من كاتب ، والشين من شاعر ، والألف من أديب ، والجيم من منجم ، والميم من مغن » ، ويقال إنه أقام بمصر مدة فاستطابها ، ثم رحل عنها ، فكان يتشوق إليها ، ثم عاد إليها فقال :

قد كان شوقى إلى مصر يؤرقنى فالآن عدت وعادت مصر لى دارا

توفى سنة ٣٥٠ . انظر : (السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٤٠ ؛ معجم سركيس) .

(٤) البرنس قلنسوة طويلة كان النساك يلبسونها فى صدر الإسلام ، أو كل ثوب رأسه منه ، دراعة كان أو جبة أو ممطرا ، ومنه برنسه فتبرنس أى ألبسه البرنس فلبسه (محيط المحيط) .

(٥) فى الأصل : « زفقت » ، وما أثبتناه قراءة ترجيحية .

وتُنْتِجُ فى وقت تلقيحها ضِيَاءً يُجَلِّى دُجى الحِنْدِسِ
فنحن من النور فى أسْعُدٍ وتلك من النارِ فى أنْحُسِ

فقام أبو نصر، وقبّل الأرض واستأذن فى إجازتها، فأذن له، فقال:

وليلتُنا هـذه ليلةٌ تشاكِلُ أشْكال إقليدس
فيا ربةَ العودِ حُثِّى الغِنَا[1] ويا حاملَ الكأسِ لا تحْبِسِ

فخلع عليه، وعلى جميع من حضر مجلسه، وحمل إليه حلةً (٥٣) سنية.

ولله درُّ الأديبِ مظفر بن محاسن الدلال، أحد شعراء دمشق فى الأيام الناصرية يوسف[2] بن غازى صاحب حلب، حيث يقول:

كن محسناً مهما استطعت فهذه الد
نيا، وإن طالت قصيرٌ عمرُها
إنَّ المآثرَ فى الورى ذريعة (؟)
يَفْنَى مُؤَثِّرُها، ويبقى ذكرُها
فترى الكريم كشمعةٍ من عنبرٍ
ضاءتْ، فإن طُفِيَتْ تضوَّعَ نشرُها

وما أحسن قول أبى الحسين عمر بن يعقوب الأنبارى — أحد عدول بغداد —، وقد رثى الوزير محمد بن محمد بن بقية[3]، الملقب نصر الدولة؛ وزير عز الدولة بختيار بن معز الدولة أحمد بن بويه[3]، لما قتله عضد الدولة

---

(١) فى الأصل: « القنا »، وما أثبتناه أصح.

(٢) الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازى، حكم حلب (٦٣٤—٦٥٨)، انظر بعض أخباره فى: (النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ١٧٣، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٥٩، ٣٦٢).

(٣) انظر ما سبق، ص ٨٣، هامش ٥.

أبو شجاع فناخسرو[1] بن ركن الدولة أبى الحسن بن بويه ، وصلبه [بقوله] :

علو فى الحياة ، وفى الممات — إلخ

التى لم يُقل فى مصلوب مثلُها ، فلم يزل عضد الدولة يطلبه مدة سنة حتى أتاه بأمان ، فقال له :

« ما حملك على مرثية[2] عدوى ؟ ، فقال : « حقوق وجبت ، وأيادٍ سلفت ، فجاش الحزن فى قلبى ، فرثيت » ، وكان بيْن يدى عضد الدولة شموع تَزْهَر ، فقال : « هل يحضرك شىء فى هذه ؟ » ، فأنشد ارتجالا :

كأنّ الشموعَ وقد أظهرتْ ... من النار فى كل رأسٍ سناناَ
أصابعُ أعـــدائك الخائفـ ... ـين تضرع تطلب منك الأمانا

فخلع عليه ، وأعطاه فرسا و بدرة .

وقال مجيرالدين محمد بن على بن يعقوب بن تميم — وقد اجتاز ليلة بدار بعض أصحابه ، ومعه شمعة طُفيت ، فأوقدها من داره — :

يا أيها المولى الشريف ومن له ... فضلٌ يفوق به على أهل الأدب
(٥٤) لما أَزَرْتُكَ شمعتى لتبرَّها
جاءتْ تحدث عن سراجك بالعجب
وافته حاسرةً فقبّــــل رأسها
وأعادها نحـــوى بتاجٍ من ذهب

---

(١) فى الأصل : « فناخس » .

(٢) فى الأصل : « رثى » ، والتصحيح عن « الوفيات لابن خلكان » .

وُينسب لأمير المؤمنين المستنجد بالله أبى المظفر يوسف[١] ، الثانى[٢] والثلاثين من خلفاء بنى العباس ، أنه قال فى الشمعة :

وصفراءَ مثلى فى القياس ودمعُها ... سِجَامٌ على الخدين مثلُ دموعى
تذوبُ كما قد ذُبتُ وَجْدًا ولَوْعةً ... ويحوى حشاها ما حَوَتْهُ ضلوعى

وللمستنجد أيضا :

وباخلٍ أشــعل فى بيته ... فى مَرَّةٍ منه لنا شمعهْ
فما جرت من عينها دمعةٌ ... حتى جرت من عينه دمعهْ

وقال الأديب الـكاتب الناسك فخر الدين أبو الطاهر إسماعيل بن على بن محمد بن عبد الواحد بن أبى اليمن بن عز القضاة يصف[٣] شموعا :

وزُهْرِ شُمُوعٍ إن مددتَ بنانَهـا
لمحو ســطور الليل ناب عن البدر
وفيهن كافوريةٌ خِلْتُ أنهـا
عمودُ صباحٍ فوقه كوكب الفجر
وصفراءَ تحـكى شاحبا[٤] شاب رأسُه
فأدمعه تجرى على ضيعة العمر
وخضراءَ يبدو[٥] وَقْدُها فوق قدها
كنرجسةٍ تزهو[٥] على الغصن النضر

---

(١) مدة حكمه : (٥٥٥ — ٥٦٦ = ١١٦٠ — ١١٧٠) .
(٢) فى الأصل : « الثامن » ، والصحيح ما ذكرناه ، راجع : Lane-Poole, Op. Cit. pp. 13 — 15 .
(٣) فى الأصل : « يصفو » .
(٤) فى الأصل : « ساجا » ، وبهذا التغيير يستقيم المعنى والوزن .
(٥) فى الأصل : يبدوا » و « يزهوا » .

ولا غرو(١) أن يحكى الأزاهرَ حسنُها

أليس جناها النحل قِدمًا من الزهر

وقال الشريف الأديب الشاعر أبو الحسن على بن محمد بن الرضى بن محمد بن حمزة بن أميرك(٢) المعروف بابن دفترخوان الطوسى :

وعجيبةٍ تحكى بقدٍّ نخلةً ذهبيةً لهبيةً تشكو الصدى(٣)

ومِقَطُّها(٤) منها يصيد حمامةً بيضا ، ويُلقيها غرابا أسودا

وقال العلامة أبو الفضل أحمد بن يوسف بن أحمد التيفاشى(٥) :

(٥٥) غصنٌ بدا من فضةٍ أمسى بتبرٍ مسمرا

يجنى المِقَطُّ وردةً منه ويُلقى عنبرا

وقال الأمير سيف الدين أبو الحسن على بن عمر بن قزل المعروف :

ولم أرَ مثلَ شمعتنا عروساً

تَجَلَّتْ(٦) فى الدجى ما بين جمعِ

نصبناها لخفض العيش(٧) جزمًا

فآذنَ ليلنا منها برفعِ

(١) فى الأصل : « ولا غرور » .

(٢) فى الأصل : « أميركا » . (٣) فى الأصل : « الصدا » .

(٤) فى الأصل : « ومقطعها » ، وما هنا قراءة ترجيحية .

(٥) صلاح الدين أو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشى القيسى ، مولده بتيفاش سنة ٥٨٠ ، وارتحل إلى مصر والشام ، وله مصنفات فى فنون مختلفة ، أهمها : «أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار» طبع فى فلورنسا سنة ١٨١٨ ، وترجمه إلى الفرنسية Clément mullet فى Journal Asiatique, 1868. pp. 5 — 81, 109 — 253, 502 — 522. وتوفى التيفاشى سنة ٦٥١ .

(٦) فى الأصل : « تجلب » . (٧) فى الأصل : « العيس » .

كأن عقودَ أدْمُعِها عليهـــــا
سلاسلُ فضـــةٍ أو قُضْبُ طَلعِ

وقال الأديب العارف شهاب الدين أبو الفضـل محمد بن عبد المنعم بن محمد — المعروف بابن الخيمى الأنصارى — فأحسن ما شاء :

وشمعةٍ مزّقَتْ ثوب[1] الظلام بما
بثت من النور فى الأرجاء متسعا
وأحرقت نارُها ما مزّقت فرمت[2]
بالقِسْطِ تخرجه من ظهرها قِطَعَا

وقال مظفر بن إبراهيم بن جماعة بن على الأعمى :

جاءت بجسمٍ لسانه ذهبُ ... تبكى وتشكو[3] الهوى وتلتهبُ
كأنها فى يمينِ حاملهـــا ... رمحُ لُجينٍ لسانه ذهبُ

وقال عبد الجبار بن أبى بكر بن محمد بن حمديس أبو محمد الأزدى الصقلى[4] :

قَنَاةٌ منَ الشَّمعِ مرْكُوزَةٌ ... لها حَرْبَةٌ طُبِعَتْ مِنْ ذَهَبْ[5]

---

(١) فى الأصل . « نور » .   (٢) فى الأصل : « فرمى » .
(٣) فى الأصل : « وتشكوا » .
(٤) أبو محمد عبد الجبار بن أبى بكر بن محمد بن حمديس الأزدى الصقلى ، ولد سنه ٤٤٦ ، ودخل إلى الأندلس سنة ٤٧١ ومدح المعتمد بن عباد ، وقد طبع ديوانه فى روما سنة ١٨٩٧ ، نشره المستشرق الإيطالى « چلستينو سكياپاريللى » ، ومات ابن حمديس بجزيرة ميورقة — وقيل ببجاية — سنة ٥٢٧ . انظر : (الوفيات لابن خلكان ، ومعجم سركيس) .
(٥) فى « ديوان ابن حمديس ، ص ٢٣ » : « لهب » .

تُحَرَّقُ بالنَّارِ أَحْشَاؤُها ... فتدْمَعُ مُقْلَتها باللّهب[١]

تَمَشَّى لنا نورها فى الدُّجى ... كما يتَمَشَّى الرِّضى فى الغَضَبْ

فاعجب[٢] لآكلةٍ جسْمَهَا ... بِروحٍ تُشارِكُها فى العَطَبْ

وقال :

مُصْفَرَّةُ الجِسْمِ وهى ناحِلَةٌ ... تَسْتَعْذِبُ العيشَ مَعْ تَعَذُّبِهَا

تَطْعَنُ صَدْرَ الدُّجى بِعَالِيَةٍ ... صَنَوْبَرِىٍّ لِسَانُ كَوْكَبِهَا

إنْ تَلِفَتْ روحُ هذه اقتبَسَت[٣] ... مِنْ هَذِهِ فَضْلَةً تَعِيشُ بِهَا

كَحَيَّةٍ باللِّسَانِ لاحِسَةٍ ... ما أَدْرَكَتْ من سَوَادِ غَيهِبِهَا

وقال السرىّ بن أحمد الرفاء الكندى الموصلى[٤] :

أعددتُ لليلِ إذا الليلُ غسق ... وقيد الألحاظ من دون الطرق

قضبانَ تبرٍ عُرِّيَتْ من الورق ... شفاؤها إن مرضت ضرب العنق[٥]

وقال من أبيات :

ولما دجَى الليل فرجته ... بروح تَحَيَّفَ جثمانَها[٦]

---

(١) فى « ديوان ابن حمديس ، ص ٢٣ » : « بالذهب » .

(٢) فى « ديوان ابن حمديس ، ص ٢٣ » : « عجبت » .

(٣) فى « ديوان ابن حمديس ، ص ٤٨٠ » : « اقتسمت » .

(٤) أبو الحسن السرى بن أحمد بن السرىّ الكندى الرفاء الموصلى ، كان فى صباه يرفو ويطرّز فى دكان بالموصل ، وهو مع ذلك يتولع بالأدب وينظم الشعر حتى جاد شعره ومهر فيه ، وقصد سيف الدولة بن حمدان بحلب ، ومدحه وأقام عنده مدة ثم انتقل بعد وفاته إلى بغداد ، ومدح الوزير المهلبى ، وكان السرى مغرى بنسخ ديوان أبى الفتح كشاجم ، توفى سنة نيف وستين وثلثمائة ببغداد . (الوفيات لابن خلكان) .

(٥) هذا البتت ملفق من صدر وعجز لبيتين اثنين . انظر : (الديوان ، ص١٨٦) .

(٦) فى الأصل : ولما دنا الليل فرجته ... بروح نحيف جثمانها
والتصحيح عن الديوان .

بشمع أُعير قدود الرماح   وسرج ذراها وألوانها
غصونٌ من التبر قد أزهرت   لهيبا يزيّن أفنانها
فيا حسن أرواحها فى الدجى   وقد أكلت فيه أبدانها

وقال القاضى ناصح الدين أبو بكر أحمد بن محمد الأرجانى [١] من قصيدة [يمدح عماد الدين طاهر بن محمد قاضى قضاة فارس] [٢] :

نمَّتْ بأسرار ليلٍ [٣] كاد يُخْفيها   وأَطْلَعَتْ قَلْبَها للنَّاسِ مِنْ فِيها
قَلْبٌ لها لم يَرُعْنَا وهو مكتمنٌ   إلا تراقيه [٤] ناراً من تراقيها
سفيهةٌ لم يزل طول اللسانِ لها   فى الحىّ يجنى عليها ضرب هاديها
غريقةٌ فى دموعٍ وهىَ تَحْرِقها   أنفاسُها بدوامٍ من تلظّيها [٥]
تنفَّست نفسَ المهجورِ إذ ذكرت   عهد الخليط فبات [٦] الوجدُ يبكيها
يخشى عليها الرَّدَى مما ألمَّ بها   نسيمُ ريحٍ [٧] إذا وافى يحيِّيها
بدت كنجمٍ هوى فى إثر عفريةٍ [٨]   فى الأرض فاشتعلت من نواصيها

---

(١) ناصح الدين أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين الأرجانى ، ولد سنة ٤٦٠ ، وكان قاضى تستر وعسكر مكرم — من إقليم خوزستان — له ديوان معروف ، طبع فى بيروت (بدون تاريخ) وتوفى سنة ٥٤٤ . انظر : (الوفيات لابن خلكان ، ومقدمة ديوانه) .

(٢) الزيادة عن : « ديوان الأرجانى » ، ص ٤٢٥ .

(٣) فى الأصل : « ليلى كان » ، والتصحيح عن الديوان .

(٤) فى الأصل : « ولا ترى فيه » والتصحيح عن الديوان .

(٥) فى الأصل : « تلفظها » والتصحيح عن الديون .

(٦) فى الأصل : « فهات » والتصحيح عن الديوان .

(٧) فى الأصل : « راح » والتصحيح عن الديوان .

(٨) فى الأصل : « عفريت » .

نجمٌ رأى الأرضَ أولى أن ينورها[1]	من السماء فأضحى طوع أهليها
كأنها غرةٌ قد سال شادخها	فى وجه دهماء يُزهاها تجلّيها
أو ضُرّةٌ خُلقت للشمس حاسدةً	فكلما حُجبت قامت تحاكيها
ما طنّبت قط فى أرض مخيّمة	إلا وأقمرَ للأبصار داجيها
فالوجنة الوردُ إلا فى تناولها	والقامةُ الغصن إلا فى تثنّيها
(٥٧) قد أثمرت وردةً حمراءَ طالعةً	تجنى على الكف إن أهويت تجنيها
وردٌ تشاك به الأيدى إذا قطفت	وما على غصنها شوكٌ يوقّيها
صفرٌ غلائلها ، حمر عمائمها	سود ذوائبها بيضٌ لياليها
وصيفةٌ لستَ منها قاضياً وطراً	إن أنت لم تكسُها تاجاً يحلّيها
صفراء هنديةٌ فى اللون إنْ نُعتت	والقدِّ والدينِ[2] إن أتممت تشبيها
فالهند تقتل بالنيران أنفسها	وعندها أنها إذ ذاك تحييها
قُدَّتْ على قدِّ ثوب قد تبطنها	ولم يقدّر عليها الثوب كاسيها
أبدت إلىّ ابتساما فى خلال بكا[3]	وعبرتى أنا عضُّ[4] الحزن يُمريها
فقلتُ فى جنح ليلٍ وهى واقفة	ونحن فى حضرة جلّت أياديها
لو أنها علمت فى قُرْبِ مَنْ نُصِبت	من الورى لثنت أعطافها[5] تيها

(١) فى الديوان : « يبوءها » .
(٢) فى الديوان : « واللين » .
(٣) فى الأصل : « فى حلا » والتصحيح عن الديوان .
(٤) فى الأصل : « يحض » .
(٥) فى الأصل : « أعاطفها » .

وقال المرتضى (١) أبو محمد عبد الله بن القاسم بن مظفر بن على الشهرزورى (٢) :

نادیتها ودموعها تحكى سوابق عبرتى
والنار من زفراتها تحكى تلهّب زفرتى
ماذا التجنب والبكا ء فأعربت عن قصتى
قالت : فجعت بمن هويـ ـت فمحنتى من محنتى

وقال أيضا :

إذا صال البلى وسطا عليها تلقته بذلٍّ فى التوانى
إذا خضعتْ تُقَطُّ بحسنِ مَسّ فتحيى فى المقام بلا توانى
كأنى مثلها فى كل حال أموت بكم ، وتحيينى الأمانى

وقال الفتح بن خاقان فى كتاب [قلائد] العقيان : «ركب [أبو محمد] (٣) عبد الجليل بن وهبون [المرسى] (٤) ، وأبو الحسن غلام البكرى نهر اشبيلية [الذى لا تدانيه السرات ، ولا يضاهيه الفرات] (٤) فى ليلة أظلم من قلب الكافر ، وأشد سواداً من طرف الظبى النافر ، ومعهما وَضِىٌّ قد (٥٨) اطلع وجه البدر ليلة تمامه ، على غصن بان من قوامه ، و بين أيديهم شمعتان قد

---

(١) فى الأصل : « أبو المرتضى » .

(٢) أبو محمد عبد الله بن القاسم بن المظفر بن على بن القاسم الشهرزورى ، المنعوت بالمرتضى ، ولد سنة ٤٦٥ ، وكان مشهورا بالفضل والدين ، مليح الوعظ ، أقام ببغداد مدة يشتغل بالحديث والفقه ، ثم تولى قضاء الموصل ، وبها توفى سنة ٥١١ . انظر : (الوفيات لابن خلكان) .

(٣) الزيادات عن قلائد العقيان ، ص ٢٧٨ .

أَزْرَتَا بنجوم السماء ، ومزقتا رداء الظلماء ، وموهتا بذهب نورهما لجين الماء ، فقال عبد الجليل ارتجالا :

كأنما[١] الشمعتان إذ سمتا   جيد[١] غلام محسّن الغيَـد

وفى حشا النهر من شعاعهما   طريق نار الهوى إلى كبدى

[وكان غلام البكرى معاطيا للراح ، وجاريا فى ميدان ذلك الرماح ، فلما جاء عبد الجليل بما جاء ، وحلى للإبداع الجوانب والأرجاء ، حسده على ذلك الارتجال ، وقال بين البطء والاستعجال][٢] :

[٣]أعجب بمنظر ليلة ليلاء   تُجنى بها اللذات فوق الماء

فى زورق يزهو[٤] بغرة أغيد   يختال مثل البانة الغيناء[٤]

قرنت يداه الشمعتين بوجهه   كالبدر بين النسر والجوزاء

والتاح[٥] فوق الماء ضوء[٥] منهما   كالبرق يخفق فى غمام سماء

وكتب بعض الأدباء إلى الأفضل شاهنشاه[٦] بن أمير الجيوش بدر

(١) فى الأصل : « كأن » و « خد » ، والتصحيح عن قلائد العقيان ، ص ٢٧٩ .

(٢) فى الأصل : « وقال غلام البكرى » ، وما أثبتناه هنا صيغة قلائد العقيان ، ص ٢٧٩ .

(٣) فى الأصل : « أحبب » والتصحيح عن المرجع السابق ، هذا وقد جعل الناسخ لفظ « تجنى » آخر الشطر الأول وهو خطأ .

(٤) فى الأصل : « يزهوا » و « الغناء » والتصحيح عن المرجع السابق .

(٥) فى الأصل : « التاج » و « أضوء » والتصحيح عن المرجع السابق .

(٦) أبو القاسم شاهنشاه الملك الأفضل ولى الوزارة بعد وفاة أبيه بدر الجمالى سنة ٤٨٨ ، ووزر للمستنصر والمستعلى والآمر ، وقتل سنة ٥١٥ . انظر : (الوفيات لابن خلكان) .

الجمالى ، وقد أسرج الشموع على حافات النيل :

أبدعتَ للناس منظـراً عجباً　　لا زلتَ تحيي السرور والطربا

ألفت بين ضدين مقتـدراً　　فَمَنْ رأى المـاء خالط اللهبا

كأنما الليل والشـموع به　　أفق سمـاء تألقت شُهبـا

قد كان من فضة فصـيَّره　　توقد النـار فوقه ذهبـا

وقال أبو الحسن على بن أبى البشر :

شربنا من غروب الشمس شمسا　　مشعشعة إلى وقت الطـلوع

وضوء الشمع فوق النيـل بادٍ　　كأطراف الأسـنة فى الدروع

وقال الغزى[١] :

كالشمع يبكى ولا يُدرى أعبرتُهُ

من صحبة النـار ، أو من فُرْقة العَسَلِ

وقال آخر :

(٥٩) رقصت من الشمع مصفرة　　وراح تدار كلون العقيق

فعشـق الفراش لنـاريهما　　فإما حريق ، وإما غريق

ولأبى الحسن على المعروف بدوخلة[٢] الـكاتب :

لقد أشبهتنى شمعة فى صبابتى　　وفى هول ما ألقى وما أتوقع

---

(١) ورد هذا البيت أيضاً فى « الصفدى ، الوافى بالوفيات ، ج ، ص ١٣٥ » .

(٢) على بن منصور بن طالب المعروف بأبى الحسن بن دوخلة ، كان مؤدبا لأبى القاسم حسين (بن أبى الحسن على بن الحسين بن على بن محمد المغربى ، وفد من بغداد إلى مصر سـنة ٣٨١ فى أيام العزيز بالله) . انظر : (المقريزى ، الخطط ، ج ٤ ، ص ٣٤١ — ٣٤٢) .

نحول وحرق فى فنـــاء ووحدة   وتسهيد عين واصفرار[١] وأدمع

تمت بحمد الله وعونه ، وحسن توفيقه ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليما كثيراً دائمـا إلى يوم الدين ؛ سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ؛ والحمد لله رب العـالمين .

وافق الفراغ من تنجيزها على يد كاتبها الفقـير إبراهيم محمد يوسف السنجرجي[٢] بلدا ، المالـكى مذهبا ، يوم السبت عاشر شوال سنة ١٢٢٩ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، آمين .

---

(١) فى الأصل : « الاصفرار » .

(٢) نسبة إلى سنجرج ، وفى مصر قريتان تحملان هذا الاسم ، الأولى فى مديرية أسيوط ، مركز ملوى ، والثانية فى مديرية المنوفية ، مركز منوف . انظر : (فهرس مواقع الأمكنة) ، ووجود هـذه النسخة بمكتبة معهد دمياط يرجح انتساب الناسخ إلى الثانية .

الفهارس

١ — فهرس أسماء النحل[١] وأجناسه

٢ — فهرس أسماء بيوت النحل وخلاياه

(١) ورد لفظ « نحل » فى كل صفحات الكتاب تقريباً ولهذا أسقطناه من الفهرس

٣ — فهرس منتجات النحل ومسمياتها

٤ — فهرس الحيوان (عدا النحل)

٥ — فهرس النبات

٦ — فهرس أسماء الأعلام

٧ — فهرس الدول والشعوب والقبائل والجماعات

٨ — فهرس البلدان والأمكنة والبقاع

٩ — فهرس الألفاظ الاصطلاحية ، والأوانى ، والملابس ، والموازين والمكاييل ، والآلات ، والدواوين ... إلخ ... إلخ

تصويبات

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥	١١	فنقسم	فتقسم
١١	١٩	iutestines.	intestines.
١٤	١٢	pleaeure.	pleasure.
١٤	٢٢	مزاجعة	مراجعة
١٥	٧	الترشف	الترشف(٣)
١٥	٢٢	(٢).	(٣)
١٦	٢٢	His.	Hist.
١٨	١٠	النذع	الندغ
٢٥	١٧	(١)	(٢)
٦٠	٢٠	للجاحظ	للحافظ
٦٣	١٩	محد	محمد
٧٦	٤	عبيد الله	عبد الله
٨٣	٤	المشمع	الشمع

استدراك

ذكرت فى : « ص ٢ ، سطر ٥ ، ٦ » الجملة الآتية : « فإن حمتى الدبر إنما حمته الزنابير لا النحل (كذا) » ، وقد تفضل الأستاذ عبد الرحيم محمود — عضو لجنة إحياء آثار أبى العلاء — فنبهنى — مشكوراً — إلى أن القراءة الصحيحة التى يستقيم بها المعنى إنما هى : « فإن حَمِيَّ الدبر ... إلخ » وحَمِيُّ الدَّبر هو عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح الأنصارى ، وكانت قريش قد أرسلت ليؤتوا بشىء من جسده ، وكان قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر ، فبعث الله عليه مثل الظلة من الدَّبر ، فحمته منهم ، ولهذا سُمى : « حَمِيَّ الدَّبر » . انظر : « الإصابة ، ٤٣٤٧ » .

للناشر

ا — تأليفاً :

١ — الأدب المصرى القديم ، فصل فى كتاب «تراث مصر القديمة» الذى اشترك فى تأليفه نخبة من أساتذة جامعة فؤاد الأول ، مطبعة المقتطف ١٩٣٧

٢ — رفاعة الطهطاوى — زعيم النهضة الفكرية فى عصر محمد على — مجموعة أعلام الإسلام — نوفمبر ١٩٤٥ .

٣ — تاريخ الترجمة فى عهد الحملة الفرنسية .
٤ — تاريخ الترجمة فى عصر محمد على
} يطبعان قريباً .

٥ — الفسطاط (أول عاصمة لمصر الإسلامية) .

٦ — مصر بين دولتين ، قصة تاريخية طويلة تصف الحالة فى مصر والشام فى الفترة التى انتهت بزوال الدولة الفاطمية وقيام الدولة الأيوبية .

ب — نشراً :

١ — إغاثة الأمة بكشف الغمة ، لتقى الدين المقريزى ، بالاشتراك مع الدكتور محمد مصطفى زيادة ، مطبوعات لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٠ .

مكتبة المقريزى الصغيرة :

٢ — الكتاب الأول : نحل عبر النحل . الناشر مكتبة الخانجى ١٩٤٦ .

٣ — الكتاب الثانى : اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الخلفا . يظهر قريباً .

أبحاث ومقالات علمية نشرت

١ — الإسلام فى غرب إفريقيا — الرسالة ، ١٩٣٧ .

٢ — عمرو بن العاص ، كيف فكر فى فتح مصر وكيف سار إليها ، مجلة معهد التربية العالى ، ١٩٣٧ .

٣ — الذكاء والوراثة — مجلة العلوم (التى تصدرها جمعية المعلمين) ، يوليو ١٩٣٩ .

٤ — طريقة مسح الأراضى وجمع الخراج فى مصر الإسلامية — الثقافة العدد ٩٧ .

٥ — الروك الناصرى — الثقافة ، العدد ٩٩ .

٦ — الاحتفال بوفاء النيل فى مصر الإسلامية — الثقافة ، العدد ١٤٠ .

٧ — شاعر من بيت بنى أيوب (تاج الملوك بورى) — الثقافة ، العدد ١٣٠ .

٨ — ابن عنين (شاعر من العصر الأيوبى) — الثقافة ، العدد ٢٥٤ .

٩ — تكوين الشعب المصرى الجديد بعد الفتح العربى — الثقافة ، العددان ٣٣٣ ، ٣٣٤ .

١٠ — الفسطاط — كيف اختير مكانها ، ولم سميت بهذا الاسم ، — الرسالة ، العدد ٦٤٠ .

١١ — مصر وطريق الهند فى القرن ١٨ — المقتطف ، ١٩٤٠ ، ١٩٤١ .

١٢— الجاسوسية فى حروب بنى أيوب — المقتطف ، ١٩٤٢ .

١٣— دكتور برُّون والشيخان محمد عياد الطنطاوى ومحمد عمر التونسى ، مجلة كلية الآداب بجامعة فاروق الأول ، العدد الثانى ، ١٩٤٤ .

١٤— المحاولات الحربية للاستيلاء على جزيرة رودس من سلاطين المماليك فى القرن ١٥ م (ترجمة عن الأصـل الإنجليزى بقلم الدكتور محمد مصطفى زيادة) ، مجلة الجيش المصرى ، يناير سنة ١٩٤٦ .

مكتبة المقريزي الصغيرة

مجموعة من الكتب الصغيرة فيها قبس من كل علم :

أدب ، اجتماع ، اقتصاد ، تاريخ ، تراجم ، جغرافيا ، حديث ، فقه ، طب ، حيوان ، نبات ... إلخ ... إلخ .

يقدمها : **جمال الدين الشيّال**

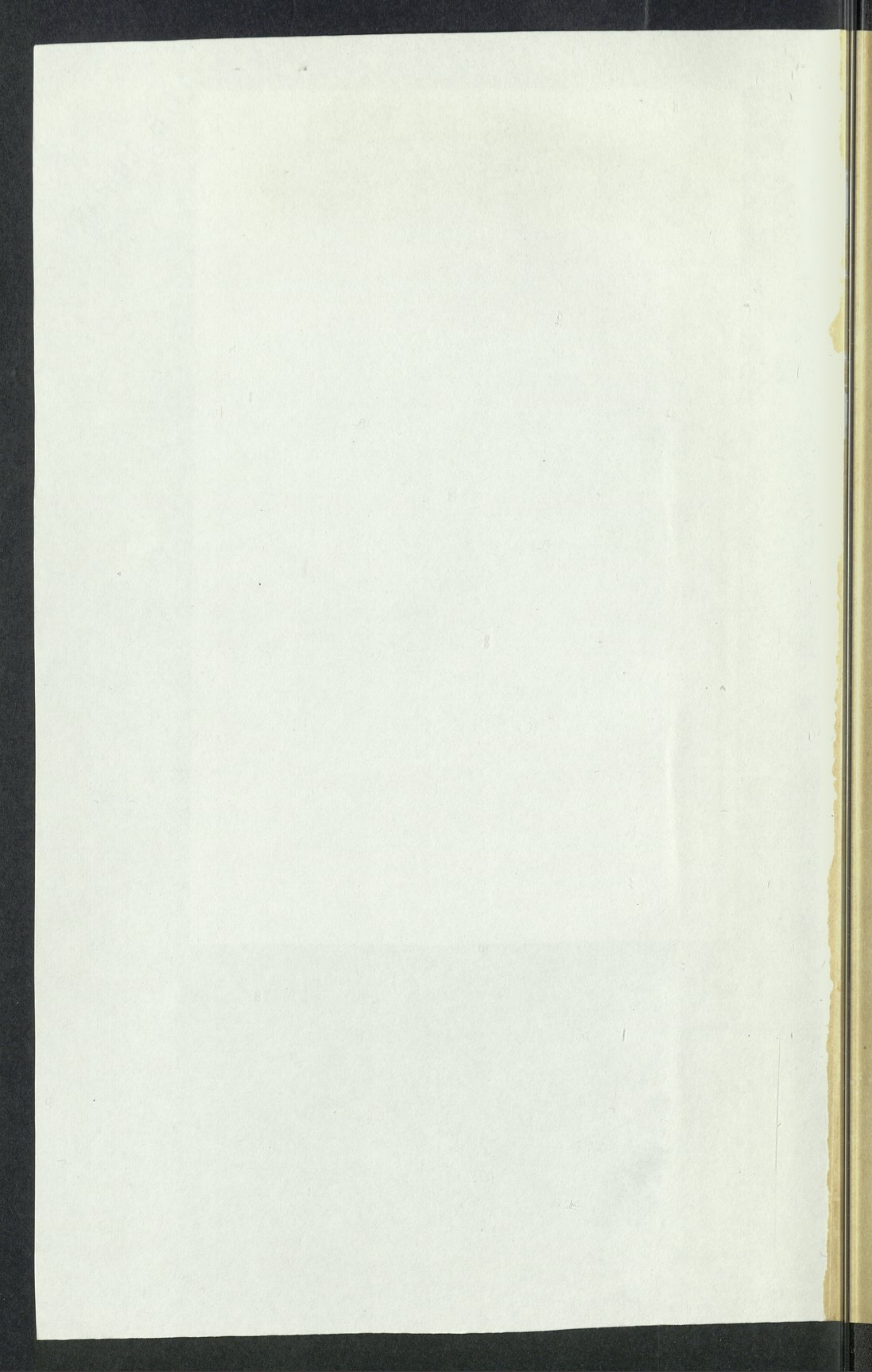
مدرس التاريخ الإسلامى بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول

بعد نشرها نشراً علمياً دقيقاً مع المقارنة والضبط والشرح والتحقيق والتعليق .

ظهر منها الكتاب الأول : « نَحْل عِبَر النحل » .

الكتاب التالى يظهر قريباً : « اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الخلفا » .

وهو الكتاب القديم الوحيد فى تاريخ الفاطميين .



DATE DUE